مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٥)

الآراء الشاذة في مختصر العز بن عبد السلام لتفسير النكت والعيون للماوردى

"دراسة تحليلية"

إعداد

د / محمد طه علام

مدرس الدراسات الإسلامية - كلية الآداب
جامعة كفر الشيخ

السنة ٢٨ العدد (١٠٩) ابريل ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الآراء الشاذة في مختصر العز بن عبد السلام لتفسير النكت والعيون للماوردي " دراسة تحليلية "

دكتور/محمد طه علام

مدرس الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم شريعة الله في أرضه وحجته على خلقه، فمن هديه ينهلون، وإليه يتحاكمون، ومن ثم فإنه يستوجب على من يقوم بتفسيره أن يتحرى الدقة في تأويله حتى لا يكون فيما يرى، ويذهب إليه تغييرا في المعنى أو تبديلا للقصد، ولذلك فإنه مما يجب على المفسر ألا يخالف ما صح عن الرسول ﷺ في تفسير الآيات، وأن يتبع آراء الصحابة أو التابعين إذا كان مستنداً إلى ذكر سبب النزول؛ لأنه في حكم المرفوع ، وأن يفسر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت النزول، وليست بمعانٍ مستحدثة، أو جرت بعد التنزيل، وأن يكون تفسيره في حدود قواعد اللغة وأساليبها المعهودة، وأن يتجنب تفسير ألفاظ القرآن الكريم باللغات الغريبة التي لا عهد للعرب بها، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [1].

ومن ثم يجب على المفسر أن يفسر القرآن الكريم ويحمل على أحسن المحامل، وأفصح الوجوه، فلا يحمل على معنى ركيك، ولا لفظ ضعيف، وإنما يحمل على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة دون الشاذة والضعيفة، ويحمل على الأكثر استعمالا دون القليل والنادر، ويحمل على المعاني والعادات والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، دون ما حدث

* تاريخ تسلم البحث {فبراير/٢٠١٧م} * تاريخ الموافقة على البحث {إبريل/٢٠١٧م}

[1] سورة يوسف ، الآية (٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

واستجد بعد التنزيل؛ وذلك لأن القرآن أفصح الكلام، ونزل على أفصح اللغات وأشهرها، فلا يعدل به عن ذلك كله[١].

وقد حذر كثير من أهل العلم من حمل الآيات القرآنية على الوجوه الشاذة والمحامل النادرة، وصرحوا بأن القرآن أفصح الكلام فلا يحمل إلا على أحسن الوجوه، وأبعدها عن التكلف، وأسلمها من الشذوذ والتفرد، قال شيخ المفسرين الطبري (ت٣١٠هـ) عند ترجيحه لبعض الأقوال التفسيرية:" .. كتاب الله ﷻ لا توجَّهُ معانيه وما فيه من البيان، إلى الشواذ من الكلام والمعاني، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم، وجهٌ صحيح موجودٌ"[٢]، وقال :" وغير جائز حمل كتاب الله تعالى ووحيه جل ذكره على الشواذ من الكلام وله في المفهوم الجاري بين الناس وجه صحيح موجود"[٣]، وذكر ابن جزي (ت٧٤١هـ) وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره، وفيها:" الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"[٤].

وقد وردت بالمختصر بعض الآراء غير الدقيقة التي ربما جاوزت القصد وبعدت عن المعنى، ولم تجر على نسق قواعد التفسير المعهودة، كحمل المعنى على المجاز دون قرينة، أو على القليل النادر من لغة العرب دون الفصيح المشهور، أو التقديم والتأخير دون سبب، أو عدم مراعاة أصل الكلمة، أو السياق، أو حمل العام على الخاص، إلى غير ذلك، فأراد الباحث من خلال هذه الدراسة والتي تسمى: (الآراء الشاذة في مختصر العز بن عبد السلام لتفسير النكت والعيون) أن يبين ما تيسر له منها، حتى يقف القارئ على الصواب من القول فيها، علما بأن هذه الآراء ليست للعز خاصة، وإنما هو كغيره من المفسرين عادتهم النقل عمن سبقهم، وبعضهم ذكرها ورد عليها، وبعضهم ذكرها ولم يرد عليها ومنهم العز، وهذا مما يؤخذ عليه، ولعله ترك الرد ليتناسب مع المختصر.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، د/حسين الحربي، دار القاسم، الرياض- السعودية، ١٩٩٦م، (٣٦٩/٢).

(٢) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٠م، (١٠٠/٧).

(٣) المصدر السابق (٥٧٣/٤).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحقيق: د/عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ١٤١٦ه، (١٩/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

واستدعى ذلك تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تلخص أهم نتائج الدراسة، وجاءت كالآتي:

- **المقدمة:** وتشتمل على أهمية الموضوع .

- **التمهيد:** ويشتمل على معنى الشاذ وأقوال العلماء في عدم الأخذ به، والتعريف بتفسير الماوردي، والعز بن عبد السلام .

- **أما المبحث الأول:** أسباب الشذوذ المتعلقة بالنظم القرآني، وقد اشتمل على ستة مطالب: **المطلب الأول:** الشذوذ بسبب حمل المعنى على المجاز دون قرينة. **المطلب الثاني:** الشذوذ بسبب حمل المعنى على القليل النادر من لغة العرب دون الفصيح منها. **المطلب الثالث:** الشذوذ بسبب التقديم والتأخير دون حاجة لذلك. **المطلب الرابع:** الشذوذ بسبب عدم مراعاة أصل الكلمة. **المطلب الخامس:** الشذوذ بسبب الغفلة عن السياق. **المطلب السادس:** الشذوذ بسبب حمل المعنى العام على الخاص من غير دليل.

- **أما المبحث الثاني:** الشذوذ بسبب الإسرائيليات والمسائل التي سكت عنها القرآن، واشتمل على مطلبين: **المطلب الأول:** الشذوذ بسبب الإسرائيليات. **المطلب الثاني:** الشذوذ بسبب تعيين المبهمات وما سكت عنه القرآن.

- **أما المبحث الثالث:** أسباب الشذوذ المتعلقة بترك طرق التفسير المعهودة، واحتوى على مطلبين: **المطلب الأول:** الشذوذ بسبب إغفال سبب النزول. **المطلب الثاني:** الشذوذ بسبب ضعف الحديث.

- **أما الخاتمة** فتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

أولاً: تعريف الشاذ:

الشاذ في اللغة: جاء في المعاجم اللغوية أن مادة (شذذ) تدل على الانفراد، والمفارقة، ففي التهذيب، يقال:" شَذَّ الرجل، إذا انْفَرَدَ عَن أَصْحابه، وَكَذَلِكَ كل شَيء مُنْفَرد، فَهُوَ شَاذّ وكَلمَةٌ شَاذَّة... ويقال: أَشَذَذْتَ يَا رجل، إِذْ جاءَ بقَوْلٍ شاذ نَادِر"(١).

وذكر ابن منظور في اللسان:" يقال: شَذَّ عَنْهُ يَشِذُّ ويَشُذُّ شُذُوذًا: انْفَرَدَ عَنِ الْجُمْهُورِ وَنَدَرَ، فَهُوَ شاذٌّ(٢)".

الشاذ في الاصطلاح: هو الذي يكون وجوده قليلا، لكن لا يجيء على القياس(٣)، والشاذ هنا يشبه الشاذ في علوم الحديث، وهو عند أهل الحديث: أن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس(٤)، ويعد من أقسام الحديث المردود.

والذي نعنيه بالآراء التفسيرية الشاذة هنا: انفراد مفسر في تفسير آية من كتاب الله ﷻ بقول يخالف فيه جمهور المفسرين من السلف الصالح، ولم تكن لقوله هذا دلالة بينة قوية يعتمد عليها، فيعتبر هذا القول تفسير شاذ فلا يلتفت إليه ولا يقبل، ويرد بتفسير الجمهور؛ لكونه أولى بالصواب، ولأنه إلى الحق أقرب، ومن الخطأ أبعد(٥)، وأيضا ما خالف طرق التفسير المعتبرة، أو جرى على مذهب عقدي باطل، أو خالف إجماعاً مستقرا(٦).

ولا يعني وجود هذه الآراء الشاذة في مختصر العز أو عند غيره من المفسرين، الطعن على هؤلاء الأعلام، فقد تتابعت أقوال العلماء في الاعتذار عن أهل العلم فيما بدر منهم في بحر علمهم وفضلهم، وأن ما يصدر من العالم من هنات وزلات لا تكون مانعة للاستفادة من

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، مادة (شذ) (١٨٦/١١).

(٢) ينظر: اللسان، ابن منظور، دار صادر، بيروت ١٤١٤ه، مادة (شذذ) (٤٩٤/٣).

(٣) الكليات، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص/٢٥٨).

(٤) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص/٥٦).

(٥) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، د/طاهر يعقوب، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٥ه، (٥٤١/١).

(٦) ينظر: الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها، د/ عبد الرحمن صالح الدهش، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، ٢٠٠٤م، (/٢٣).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

علمه وفضله، ولا سببا للطعن والهجوم عليه، ومن ذلك قول الذهبي (ت٧٤٨هـ):" إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك"[١].

والآراء الشاذة المغلوطة لم تكن سببا في الحرمان من علوم هؤلاء الأجلة، بل ما زالت منارات يهتدى بها في أيدي أهل الإسلام، وما زال العلماء على هذا الدرب ينبهون على خطأ الأئمة مع الاستفادة من علمهم وفضلهم، ولو سلكوا مسلك الهجر لهدمت أصول وأركان، ولتقلص العلم في الإسلام، وأصبح الاختلال واضحا للعيان[٢].

ثانياً: التعريف بتفسير الماوردي (النكت والعيون).

قدمت التعريف بتفسير الماوردي لأن تفسير العز اختصار له، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم، اقتصر فيه مؤلفه على تفسير ما خفي من آيات القرآن الكريم، أما الجلي فتركه لفهم القارئ، وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخلف، كما أضاف إلى ذلك ما ظهر له من معنى محتمل، ورتبه ترتيبا حسنا، فهو يحصر الأقوال الكثيرة في تأويل الآية في عدد ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث...إلخ، وينسب كل قول إلى قائله غالبا، مع توجيه لبعض الأقوال وترجيح، كما أنه يترك كثيرا منها بدون توجيه وترجيح[٣].

قال الماوردي مبينا لمنهجه:" ولما كان الظاهر الجلي مفهوما بالتلاوة، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصورا على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه، وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف، وموضحاً عن المؤتلف والمختلف، وذاكراً ما سنح به الخاطر من معنى يحتمل، عبرت عنه بأنه محتمل، ليتميز ما قيل مما قلته ويعلم ما استخرج مما استخرجته، وعدلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تالية، ليكون أقرب مأخذاً وأسهل مطلبا"[٤].

---

(١) السير، الذهبي، (٢٧١/٥).
(٢) ينظر: أسباب الخطأ في التفسير، د/طاهر يعقوب، (٨٠/١).
(٣) ينظر: العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير (ص/١١٥).
(٤) النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م، (٢١/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً: التعريف بتفسير العز: هو اختصار لتفسير الماوردي، ولم يبين العز سبب اختصاره، ولا منهجه في الاختصار، فلم يزد في مقدمته على قوله:" الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله"[١]، ثم شرع في الاختصار، ولعل سبب اختصاره يرجع إلى ما يلي:

١- قيمة تفسير الماوردي العلمية، وأهميته ونفاسته.

٢- ما فيه من تطويل يحتاج إلى اختصار وتهذيب.

٣- مجاراة للعصر الذي عاش فيه العز، فقد كثرت فيه المختصرات؛ لأن العلوم قد كملت ونضجت، فالمطلع على مؤلفات العز[٢] يجد أن بعضها مختصرات، حتى أنه اختصر كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) في كتاب (القواعد الصغرى)، وهكذا شاعت المختصرات في هذا العصر.

وقد حافظ العز في اختصار تفسير الماوردي على ما امتاز به من جمع أقاويل السلف والخلف في تفسير الآية، ولكنه لا يحصرها في عدد ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث... إلخ كالماوردي، بل يذكرها بعطف بعضها على بعض بـ (أو) ، وقد يحذف بعض الأقوال اختصاراً، كما أنه – أحياناً – لا يلتزم بترتيب الماوردي للأقوال، فيقدم ما أخره، ولعله بتصرفه هذا يميل إلى ترجيح ما قدمه، ويترك نسبة كثير من الأقوال التي نسبها الماوردي إلى قائليها ، ويترك تفسير بعض الآيات التي فسرها الماوردي.

والماوردي –أحياناً– يستطرد في ذكر بعض الأخبار الإسرائيلية، أو تفصيل بعض الأحكام الفقهية، ولكن العز يهذب ذلك في عبارة مختصرة، وهكذا قدم العز تفسير الماوردي في أسلوب جيد في أقرب عبارة وأخصرها متوخيا الدقة في ذلك، ولم يزد على تفسير الماوردي شيئا إلا ما ندر من تعقيب، أو توجيه، وقد ميَّز ذلك بقوله:" قلت"[٣]، مبالغة في الدقة، والأمانة العلمية[٤].

***

(١) مقدمة تفسير العز (٨١/١).

(٢) للوقوف على هذه المؤلفات، ينظر: العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير (ص/١١٥).

(٣) ينظر على سبيل المثال: تفسير العز (١٥١/١).

(٤) ينظر: العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير (ص/١٦٨).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول: أسباب الشذوذ المتعلقة بالنظم القرآني

وقد اشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: الشذوذ بسبب حمل المعنى على المجاز دون قرينة.

المطلب الثاني: الشذوذ بسبب حمل المعنى على القليل من لغة العرب دون الفصيح منها.

المطلب الثالث: الشذوذ بسبب التقديم والتأخير دون حاجة لذلك.

المطلب الرابع: الشذوذ بسبب عدم مراعاة أصل الكلمة.

المطلب الخامس: الشذوذ بسبب عدم مراعاة السياق.

المطلب السادس: الشذوذ بسبب حمل المعنى العام على الخاص من غير دليل.

***

المطلب الأول: الشذوذ بسبب حمل المعنى على المجاز دون قرينة

المثال الأول: المراد بمجمع البحرين.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾[1]. ذكر العز – رحمه الله – في تحديد معنى ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أنهما الخضر وإلياس بحران في العلم، ونسبه للسدي، وفي قول آخر: موسى والخضر[2]، أو بحر الروم وبحر فارس، أحدهما في الغرب، والآخر في الشرق. أو بحر أرمينية مما يلي الأبواب. وعد أنه يلقى الخضر عند مجمعهما[3].

التحليل

تتحدث الآية الكريمة عن المكان الذي وعد فيه موسى عليه السلام بلقاء الخضر، وقد أخبرنا العز من خلال ما ذكره أن الكلام على معنيين: إما على سبيل الحقيقة، أو على المجاز،

---

(1) سورة الكهف، الآية (٦٠).

(2) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٢م، (١٨١/٦)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة- المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م، (٦٦٥/١).

(3) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، تحقيق د/ عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٦م، (٢٥٤/٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقد بدأ في المعنى بحمل الكلام على المجاز، ويبدو أنه رجحه، حيث ذكر أولاً أن البحرين: الخضر وإلياس، على سبيل الجزم مخالفا في ذلك الماوردي في ترتيب الآراء[١]، ثم ذكر ثانياً المعنى الحقيقي للبحرين وهو أنهما بحرا ماء.

وحتى يتضح الأمر في هذا المعنى، وبيان الصواب من غيره، علينا الرجوع إلى أقوال المفسرين، فقد تعددت آراؤهم في تحديد مجمع البحرين إلى ما يأتي:

الأول : أنه بحر فارس مما يلي المشرق ، وبحر الروم مما يلي المغرب ، وهذا قول قتادة ومجاهد[٢]، أي: ملتقى المحيط الهندي والبحر الأحمر عند باب المندب[٣].

الثاني : أن ﴿ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾ ، ملتقى بحر الروم والمحيط الأطلنطي عند طنجة قاله محمد بن كعب القرظي[٤]، أي: البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق أمام طنجة[٥].

الثالث: أن البحرين كناية عن موسى والخضر؛ لأنهما بحران في العلم، قال البيضاوي: " فإن موسى كان بحر علم الظاهر، والخضر كان بحر علم الباطن"[٦].

الترجيح بين الأقوال

قال ابن جزي في مقدمة تفسيره عند الكلام على وجوه الترجيح:" الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ"[٧]، وعلى ذلك فالقولان الأولان أولى وأرجح من غيرهما في معنى الآية، فقد جاء المعنى فيهما على الحقيقة، ولا يهمنا أيهما، إنما يهمنا أن موسى عليه السلام كان هدفه الوصول إلى مجمع البحرين أيهما في هذه المنطقة، وقد

---

(١) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م، (٣٢٢/٣).
(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر ٢٠٠٠م، (٥٥/١٨).
(٣) ينظر: تفسير المراغي، طبعة الحلبي، مصر ١٩٤٦م، (١٧٣/١٥).
(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٥٦/١٨).
(٥) ينظر: تفسير المراغي، (١٧٣/١٥).
(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨ه، (٢٨٦/٣).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحقيق: د/ عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ١٤١٦ه، (١٩/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

يكون قد سار إلى كل واحد منهما في نوبة من نوبات سيره[١]، أما القول الثالث الذي يدل على حمل المعنى على المجاز، والذي يفهم من كلام العز ميوله إليه وترجيحه، قد ضعفه المفسرون جميعهم، واختلفت عباراتهم في التعبير عنه[٢]، فقد عدَّه الكرماني (ت٥٠٥هـ) من العجائب[٣]، والزمخشري (ت٥٣٨هـ) من البدع، حيث يقول:" ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم"[٤]، وقال ابن عطية (ت٥٤٢هـ) : " وقالت فرقة: البحران إنما هما كناية عن موسى والخضر؛ لأنهما بحرا علم ، وهذا قول ضعيف ، والأمر بيّن من الأحاديث أنه إنما وُسِم له بحرا ماء" [٥].

وهكذا كل ما يخبرنا القرآن الكريم عنه من قصص الرسل وغيرهم ينبغي أن يحمل على الحقيقة، يقول الغماري (ت١٩٩٣م):" ما يحكيه القرآن عن السابقين من الأنبياء وغيرهم يجب حمله على الحقيقة كما هنا، فإننا لا ندري هل كان في لغة موسى التي خاطب بها فتاه، إطلاق البحر على العالِم مجازاً أو كناية كما في لغة العرب ؟ وعلى هذا فالمتيقن في ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ هو المعنى الحقيقي الذي ذكره المفسرون جميعهم ، وما عداه من بدع التفسير حتما " [٦].

وكان الأحرى بالمفسرين ألا يجهدوا أنفسهم في أمر سكت عنه القرآن، وتعيين مجمع البحرين لم يذكره القرآن؛ حيث لا فائدة من ذكره، ومن ثمَّ لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، يمكن أو ينبغي الرجوع إليه، يقول الرازي (ت٦٠٦هـ): " وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك، وإلا فالأولى السكوت عنه" [٧]، وكذلك قال ابن عادل (ت٧٧٥هـ)[٨]، وقال الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): " ومعلوم أن تعيين ﴿

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٥٥٥/٩).
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٩/١١)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٢٠٠/٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (٤٤٥/٤)، وفتح الباري، ابن حجر، (٤٠٨/٨)، وفتح القدير، الشوكاني، (٣٥٢/٣)، وروح المعاني، الألوسي، (٤٩٢/٨).
(٣) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، (٦٦٥/١).
(٤) الكشاف، (٧٣١/٢).
(٥) المحرر الوجيز، (٥٥٤/٣).
(٦) بدع التفاسير، الغماري، (ص/٨٤) .
(٧) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٢٤/٢١) .
(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٥٢٣/١٢) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

آلْبَحْرَيْنِ ﴾ من النوع الذي قدمنا، أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، وليس في معرفته فائدة ، فالبحث عنه تعب لا طائل تحته، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه"[1].

ولعله مما سبق يتضح لنا أن تفسير ﴿ آلْبَحْرَيْنِ ﴾ بموسى عليه السلام والخضر، أو الخضر وإلياس، يعد من الآراء التفسيرية الشاذة التي لا ينبغي حمل المعنى عليها، وذلك لما يلي:

١- لأن حمل المعنى على الحقيقة أولى من حمله على المجاز.

٢- لأن هذا المعنى مخالف للسياق العام للآيات الكريمات.

٣- لأنه مخالف لمَ اتفق عليه المفسرون.

***

[1] أضواء البيان، الشنقيطي، (٣/٣٢١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المثال الثاني: القول في يتم محمد ﷺ.

قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾[1]. يفهم من كلام العز – رحمه الله – أن معنى اليتم الوارد في الآية على وجهين: الأول حمل الكلام على المجاز، والمعنى: لا مثل لك ولا نظير فآواك إلى نفسه واختصك لرسالته، درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل. الثاني حمل الكلام على الحقيقة، والمعنى: يتيماً بموت أبويك، فآواك بكفالة أبي طالب؛ لأن عبد المطلب كفله بعد أبويه، ثم مات عبد المطلب فكفله أبو طالب [2].

التحليل

اختلف المفسرون حول معنى (اليتم) الوارد في الآية الكريمة، وكانوا في ذلك على أربعة أقوال[3] : **الأول:** أنّ أباه تُوفّي وهو حَملٌ في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره وَيُوقّره، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحُسن تدبيره، إلى أن تُوفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجُهّالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بَلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سُنَّته على الوجه الأتم والأكمل، فلما وصل إليهم آوَوه ونَصَرُوه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به. قاله ابن كثير[4]، واختاره غير واحد من المفسرين ولم يذكر سواه [5].

---

[1] سورة الضحى، الآية (٦) .

[2] ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، (٤٦٢/٣).

[3] ينظر: الكشاف، الزمخشري، (٧٧٢/٤)، ومفاتيح الغيب، الرازي، (١٩٤/٣١)، ولباب التأويل، الخازن، (٢٥٩/٧)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥٨١/١٠) ، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٥٨/٥)، والسراج المنير، الخطيب الشربيني، (٤٠٣/٤)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٤٨١/٨)، وروح المعاني، الألوسي، (١٦١/٣٠)، وغيرهم .

[4] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٢٦/٨) ، وهذا المعنى مبسوط في كتب السيرة .

[5] ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٢٢٥/١٠)، والتفسير الوسيط، الواحدي، (٥١١/٤)، ومعالم التنزيل، البغوي، (٤٥٦/٨)، ومدارك التنزيل، النسفي، (٢٧٩/٤) ، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧٠/٩) ، وروح المعاني، الألوسي، (١٦١/٣٠) ، وغيرهم .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الثاني: أنّ معناه: ألم يجدك يتيما أبَتْكَ المراضع فآواك من مرضعة تحنو عليك، بأن رزقها بصحبتك الخير والبركة حتى أحبتك وتكفلتك، ذكره الألوسي [١] .

الثالث: أنّ معناه راجع إلى معنى قوله ﷻ :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[٢] أي ليتولى الله تعالى أمره من صغره ، فكان يتمه لإبراز فضله؛ لأن يتيم الأمس أصبح سيد الغد، وكافل اليتامى، وهذا ما استظهره الشنقيطي[٣].

الرابع: أنه من قول العرب: درّة يتيمة ، والمعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك ، وهو قول مجاهد[٤] .

الترجيح بين الآراء

الأقوال الثلاثة الأول يمكن حمل المعنى عليها، إذ الكلام فيها جاء على حقيقة اليتم من فقد الأب، وقد ذكر ابن عطية كلام جعفر بن محمد الصادق حين سئل لم يتم النبي عليه السلام من أبويه؟ فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق[٥]، وحمل التفسير على الحقيقة أولى من حمله على المجاز، كما ذُكِر من قبل.

أما القول الرابع والذي ذكره العز أولاً في معنى الآية مخالفا في ذلك ترتيب الماوردي للأقوال، فقد تفرد به مجاهد، ومن ثم يعد من الآراء التفسيرية الشاذة، وقد تنوعت عبارات

---

[١] ينظر: روح المعاني، الألوسي، (١٦١/٣٠) .
[٢] سورة الضحى، الآية (٣) .
[٣] ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (٥٥٩/٨) .
[٤] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥٨١/١٠)، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٥٨/٥) .
[٥] ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤٩٤/٥). وتجدر الإشارة إلى أن ثمة حكماً إلهية في ولادته ﷺ يتيماً فقيرا ، لعلّ أهمها : **أولاً** : أراد الله ﷻ أن ينشأ محمد ﷺ محاطاً بالرعاية الإلهية التامة منذ اللحظة الأولى لوجوده في الدنيا ، وحتى لا تفسر خيرات الله ﷻ له بسبب أبيه أو أمه ، أو بتأثير ماله وغناه .
ثانياً : في ولادته يتيماً فقيراً رد لأي شبهة يمكن أن يختلقها الأفاكون الضالون ، كأن يقولوا: إن محمداً أخذ تعاليم النبوة من أبيه ، أو من أمه ؛ حيث كان يحاول الآباء دائماً غرس قيمهم ، وعاداتهم ، واهتماماتهم في أبنائهم ، بل إن الابن يحاول بصورة تلقائية أن يقلد أباه ، ويجتهد في حمل فكره ومذهبه .
ثالثاً : في ولادته يتيماً تأكيد لحقيقة غائبة عن الكثير من الناس ، وهي أن الأمور كلها بقدرة الله ﷻ ، وليس للإنسان في عمله إلا الكسب والميل ، والله خالق كل شيء. ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د/ أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، القاهرة ٢٠٠٣م، (١٧٧/١) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المفسرين في رده وتضعيفه، فقد عده الكرماني من العجائب[١]، والزمخشري من البدع، حيث يقول:" ومن بدع التفاسير أنه من قولهم: (درّة يتيمة) وأن المعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك"[٢]، وحكاه عنه أبو حيان (ت٧٤٥هـ)[٣] ، والخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)[٤] ، وإسماعيل حقي (ت١١٢٧هـ)[٥]، والألوسي (ت١٢٧٠هـ)[٦]، وقال الخطيب الشربيني:" وهذا خلاف الظاهر من الآية" [٧]، وقال الشوكاني: " وهو بعيد جدّا"[٨].

ولعله مما سبق يظهر أن الرأي الذي مال إليه العز، والذي يفهم من كلامه ترجيحه له، يعد من الآراء التفسيرية الشاذة التي لا ينبغي أن يحمل عليها كلام الله تعالى، وذلك لما يأتي:

١- لأن حمل الكلام على الحقيقة أولى من المجاز ما لم يمنع من ذلك مانع، ولا مانع هنا.

٢- لأن هذا الرأي الشاذ خلاف الظاهر من الآية، ولما هو معهود في لغة القرآن الكريم.

٣- أن هذا الرأي تفرد به مجاهد، وضعفه المفسرون، وما عليه جمهور المفسرين أولى بالقبول، وما عداه فغير مقبول.

***

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، (١٣٥٤/٢).
(٢) الكشاف، الزمخشري، (٧٦٧/٤) .
(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٤٤٨١/٨) .
(٤) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٤٠٣/٤) .
(٥) ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي، (٣٥٢/١٠) .
(٦) ينظر: روح المعاني، الألوسي، (١٦٢/٣٠) .
(٧) السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٤٠٣/٤) .
(٨) فتح القدير، الشوكاني، (٤٥٨/٥) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني: الشذوذ بسبب حمل المعنى على القليل من لغة العرب دون الفصيح منها.

المثال الأول: القول في معنى الهجر.

قال تعالى:﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾[1]. ذكر العز -رحمه الله- في معنى (الهجر) الوارد في الآية عدة آراء، وهي: ترك الجماع. أو لا يكملها ويوليها ظهره في المضجع. أو يهجر مضاجعتها. أو يقول لها في المضجع هُجراً وهو الإغلاظ في القول. أو يربطها بالهجار - وهو حبل يربط به البعير - قاله الطبري[2].

التحليل

ذكر العز أن معنى (الهجر) يدور على خمسة آراء، وهي: **الأول:** الهجر: يعني ترك الجماع. وهو مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير[3]. **الثاني:** الهجر: أن لا يكلمها ويوليها ظهره في المضجع، وهو مروي عن الضحاك والسدي[4]. **الثالث:** الهجر: يعني هجر الفراش والمضاجعة، وهو مروي عن الضحاك والسدي أيضا[5]، قال القرطبي:" فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها، فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها، فيتبين أن النشوز من قبلها"[6]. **الرابع:** الهجر: الإغلاظ في القول، فيكون المعنى: قولوا لهنَّ في المضاجع هُجْراً من القول. وهو مروي عن ابن عباس والحسن وعكرمة[7]. الخامس: أن يربطها بالهِجار، وهو حبل يربط به البعير، ليقرها على الجماع ، وهو قول الطبري[8].

---

(1) سورة النساء ، الآية (٣٤).
(2) تفسير العز بن عبد السلام (٣٢١/١).
(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٣٠٢/٨)، والنكت والعيون، الماوردي، (٤٨٢/١)، والوسيط، الواحدي، (٤٦/٢).
(4) المصدر نفسه.
(5) المصدر نفسه.
(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٧١/٥).
(7) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٤٨٢/١)، وزاد المسير، ابن الجوزي، (٤٠٢/١).
(8) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٣٠٩/٨).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

والهَجْرُ يدور معناه في اللغة حول الترك والإعراض عن الشيء، ففي اللسان:" الهَجْر ضِدُّ الْوَصْلِ، يقال: هَجَره يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْراناً: صَرَمَه، والهَجْرُ: التَّرْك والإعراض عن الشيء"[1].

وعلى ذلك فالآراء الأربعة الأُوَل التي ذكرها العز في معنى الهجر يحتملها اللفظ القرآني، والاختلاف بينها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فيجوز أن تفسر الآية عليها، أما القول الخامس في معنى الهجر فليس من الهجران ولا من الهجر، إنما هو من الهجار، وهو حبل تشد به رجل البعير: أي تشد رجلها، لتقهرها على الجماع عند النشور، وقد رجحه الطبري وضعف الأقوال الأخر، إلا أنه يعد من الآراء التفسيرية الشاذة التي لا ينبغي أن يفسر بها القرآن، فقد انفرد به الطبري عن الجمهور، ثم نقله عنه الماوردي، ثم العز، وقد ردَّه وضعَّفه جمهور المفسرين مع تنوع عباراتهم التي تفيد عدم قبوله[2]، فقد عدَّه الكرماني من العجائب[3]، واعتبره الزمخشري من تفسير الثقلاء[4]، وقال ابن العربي ردا على الطبري في هذا الرأي": ... وعجبًا له مع تبحره في العلوم، وفي لغة العرب، كيف بَعُدَ عليه صواب القول، وحاد عن سداد النظر"[5]، وقال ابن عطية:" ورجح الطبري منزعه هذا وقدح في سائر الأقوال، وفي كلامه في هذا الموضع نظر"[6].

ولعله مما سبق يتضح لنا أن سبب شذوذ هذا الرأي هو حمله على القليل من لغة العرب دون ما ظهر وفصح، فضلا عن أن صاحبه قد انفرد به عن الجمهور، مع تضعيف المفسرين له، وبعده عن السياق.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة: هجر، (٢٥٠/٥).
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٧٢/٥)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٦٢٧/٣)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٣٦٤/٦)، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٥٩/٥).
(3) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، (٢٩٥/١).
(4) ينظر: الكشاف، (٥٠٧/١).
(5) أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، (٥٣٣/١).
(6) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤٨/٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المثال الثاني: إجلال يوسف عليه السلام وتعظيمه.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ [1]. ذكر العز -رحمه الله- في معنى الإكبار الوارد في الآية الكريمة عدة آراء، وهي: أعظمنه. أو وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً. أو حِضْنَ، والمرأة إذا جزعت أو خارت حاضت والإكبار الحيض، قال:

نأتي النساء على أطهارهن ولا ... نأتي النساء إذا أكبرن إكباراً [2].

التحليل

يفهم من كلام العز أن للإكبار معانٍ ثلاثة، أحدهما: الإكبار بمعنى: أعظمنه، فهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد[3] والثاني: الإكبار بمعنى: وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً، وهو منسوب لابن بحر كما قال الماوردي[4]، وقد يصح حمل الآية عليهما، ومن ثم جاء معنى قوله تعالى: ﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ أي: أَعْظَمْنَهُ وَدَهِشْنَ بِرُؤْيَةِ ذَلِكَ الْجَمَالِ الْفَائِقِ الرَّائِعِ، على لسان جمهور المفسرين[5]، والثالث: الإكبار بمعنى الحيض، فهو مروي عن عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده[6] ولا ينبغي حمل المعنى عليه، لاعتباره من الآراء التفسيرية الشاذة، المجانبة للصواب، والبعيدة عن السياق، وقد ردَّه أهل اللغة، والتفسير[7]، يقول أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ):" ومن زعم أن ﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ «

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٣١).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام، (١١٩/٢)، وينظر البيت في: تهذيب اللغة، الأزهري، واللسان، ابن منظور، وتاج العروس، الزبيدي، كلهم مادة (ك . ب . ر).

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٧٥/١٦)، والنكت والعيون، الماوردي، (٣٢/٣).

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣٢/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (١٠٦/٣)، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٢١٣٥/٧)، وبحر العلوم، السمرقندي، (١٩٠/٢)، والكشف والبيان، الثعلبي، (٢١٨/٥)، والنكت والعيون، الماوردي، (٣٢/٣)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي،(٦١٠/٢)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٢٣٩/٣)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٢٦٨/٦)، والجواهر الحسان، الثعالبي، (٣٢٣/٣).

(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٧٦/١٦)، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٢١٣٥/٧).

(٧) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٨٩/٢)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٣٩/٣)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٢٦٨/٦)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٨٤/١١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

حضن » فمن أين؟ وإنما وقع عليه الفعل ذلك، لو قال: أكْبَرن، وليس فى كلام العرب أكْبَرن حِضْنَ، ولكن عسى أن يكون من شدة ما أعظمنه حِضْن"[1]، وقال الزجاج (ت٣١١هـ):" وليس ذلك بمعروف في اللغة. وقد أنشدوا بيتاً في هذا وهو قوله:

تَأتي النساءَ على أَطْهارِهِنّ ولا. . . تأتي النساءَ إذا أكْبَرْنَ إكْباراً

وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة. والهاء في (أَكْبَرْنَهُ) تنفي هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقول: النساء قد حِضْنَهُ يا هذا؛ لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول"[2]، وقال الأزهري (ت٣٧٠هـ) في التهذيب عن هذا المعنى:" وَلَيْسَ ذَلِك بِالْمَعْرُوفِ فِي اللُّغَة، وَأنشد بَعضهم:

نأتِي النِّسَاء على أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نأتِي النِّساءَ إذا أكبَرْنَ إكبَارا

ثم قال: وَإِن صحت هَذِه اللَّفْظَة بِمَعْنى الحَيْض فلهَا مخرجٌ حسنٌ، وَذَلِكَ أَنَّ المرأَةَ إِذا حاضتْ أَوَّل مَا تحيض فقد خَرجَتْ من حدِّ الصِّغَرِ إِلَى حدِّ الكِبَر. فَقيل لَهَا: أَكبَرتْ أَي حَاضَت فَدخلت فِي حدِّ الكبَر الموجبِ عَلَيْهَا الأمرَ والنّهْيَ، ثم يتابع الكلام قائلا: وَأَخْبرنِي الْمُنْذِرِيّ عَن أبي الْهَيْثَم أَنه قَالَ: سأَلت رجلا من طيىءٍ. فَقلت لَهُ: يَا أَخا طيىءٍ: أَلكَ زَوْجةٌ؟ قَالَ: لَا وَالله مَا تزَوَّجت، وَقد وُعِدْتُ فِي بنتِ عمَ لي. قلت: وَمَا سِنُّها؟ قَالَ: قد أَكْبَرَتْ. فَقلت: مَا أَكْبَرَتْ؟ فَقَالَ: حاضَتْ[3]، وعده الكرماني من العجائب، وقال:" والمحققون على أن بيت (أكبرن) مصنوع لا يعرف قائله"[4].

وما ذكره جمهور المفسرين في معنى (الإكبار) هو الأولى بالاتباع ؛ إذ إنه المناسب للسياق العام للآية الكريمة، فضلا عن أن اللغة تؤيده، ولعله مما سبق يتضح لنا أن سبب شذوذ هذا الرأي، يرجع إلى ما يلي:

---

(١) مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨١ه، (٣٠٩/١).
(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨م، (١٠٦/٣).
(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، (١٢٠/١٠).
(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، (٥٣٥/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

١- المعنى عليه – إن صح– محمول على القليل الغريب من لغة العرب دون ما ظهر وفصح[١]، مما أدي إلى بعد معناه عن السياق.

٢- انفراد عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده بروايته، ولم يتابعه أحد، قال ابن عطية:" وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله"[٢].

٣- مخالفته لجمهور المفسرين، وقد قال ابن جزي في وجوه الترجيح:" الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"[٣].

***

(١) ينظر: بدع التفاسير، عبد الله الغماري، (/٧٢).
(٢) المحرر الوجيز، (٢٣٩/٣).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثالث: الشذوذ بسبب التقديم والتأخير دون سبب.

المثال الأول: تعلق المشيئة فيما حكاه القرآن على لسان يوسف عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [1]. ذكر العز – رحمه الله تعالى– في تعلق المشيئة قوله:" استيطانكم، أو الاستثناء متعلق بقوله: ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾[2].

التحليل

المتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن ثمة دخولين لأهل يوسف عليه السلام : الأول: دخولهم عليه، والثاني: دخولهم مصر، وهنا يثور تساؤل: كيف قال لهم يوسف عليه السلام : ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ بعد دخولهم بالفعل وضَمِّ أبويه إليه ؟

والجواب : أن يوسف عليه السلام قد استقبل أبويه وإخوته قبل دخولهم مصر تكرمة لهم حيث آوى إليه أبويه، ثم قال لهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾. وقيل : إنهم إنما دخلوا على يوسف عليه السلام في مصر حيث استقبلهم فيها، وأراد بقوله:﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ التمكن منها والإقامة والاستقرار فيها، وهو اختيار الدكتور محمد سيد طنطاوي[3]، بيد أن الأصوب والأقرب إلى القبول هو القول الأول، وهو ما عليه أكثر المفسرين[4].

وحول تعلق المشيئة الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ذكر العز – رحمه الله – وجهان، أحدهما: يعود إلى استيطان مصر، والمعنى: استوطنوا مصر إن شاء الله، وهو مروي عن السدي[5]، والثاني: أنه راجع إلى الاستغفار الوارد في قول الله تعالى

---

(1) سورة يوسف ، الآية [٩٩] .
(2) تفسير العز بن عبد السلام، (١٤٠/٢).
(3) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي، (٤١٦/٧) .
(4) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٦٤/١٦)، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٢٢٠٠/٧)، والكشف والبيان، الثعلبي، (٢٥٨/٥)، والوجيز، الواحدي، (/٥٦٠).
(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٦٦/١٦)، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٢٢٠٠/٧).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ ، ومعنى الكلام: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ إن شاء الله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1]على أن في الآية تقديما وتأخيرا، فهو من المقدم الذي معناه التأخير، وهو قول ابن جريج[2].

والوجه الأول الذي يدل على تعلق المشيئة بدخولهم مصر، هو الصواب في معنى الآية، والمناسب لسياق الكلام؛ لأنه قال لهم: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ حين استقبلهم قبل دخول مصر، ولأن أفعال جميع الكائنات إنما تكون بمشيئة الله تعالى[3]، فظاهر النظم القرآني أن يوسف عليه السلام قال لهم ذلك، أي: ادخلوا مصر قبل دخولهم، وتوجيه ذلك: أنه تلقاهم خارج مصر، فوقف منتظرا لهم في مكان أو خيمة، فدخلوا عليه فآوى إليه أبويه وقال: ادخلوا مصر فدخلوها، ودخلوا عليه دخولا آخر في المكان الذي له بمصر، فرفع أبويه على العرش، أي: أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك، وخروا له سجدا، أي: الأبوان والإخوة، وهو قول الجمهور[4].

أما الوجه الآخر المنسوب لابن جريج والذي يُحمل الكلام فيه على التقديم والتأخير، فيعد من الآراء التفسيرية الشاذة في معنى الآية، ولم يقل به إلا النحاس (ت٣٣٨هـ)، وتبعه القرطبي (ت٦٧١هـ) [5]، يقول النحاس:" وقوله جل وعز: ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ قال ابن جريج: أي سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله، قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره، يذهب ابن جريج إلى أنهم قد دخلوا مصر، فكيف يقول: ادخلوا مصر إن شاء الله؟"[6].

---

(١) سورة يوسف ، الآية [٩٨] .
(٢) تفسير ابن جريج، علي حسن عبد الغني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٢م، (/١٧٧)، وجامع البيان، الطبري، (٢٦٦/١٦).
(٣) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٢٥٨/٥)، والوجيز، الواحدي، (/٥٦٠).
(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٦٤/١٦)، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٢٢٠٠/٧)، والكشف والبيان، الثعلبي، (٢٥٨/٥).
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٦٣/٩) .
(٦) معاني القرآن، النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، السعودية ١٤٠٩هـ،(٤٥٧/٣)

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وجمهور المفسرين على تضعيفه وبطلانه[1]، يقول الطبري:" فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجّة واضحة"[2].

وعدَّه الزمخشري من البدع؛ حيث يقول:" ومن بدع التفاسير أن قوله:﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من باب التقديم والتأخير، وأن موضعها ما بعد قوله:﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ في كلام يعقوب عليه السلام ، وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره"[3]، ووافقه في ذلك أبو حيان[4]، وقال ابن كثير:" وَقَدْ رَدَّ ابْنُ جَرِيرٍ هَذَا، وَأَجَادَ فِي ذَلِكَ"[5]، وقال الشوكاني:" وقيل: إن التقييد بالمشيئة راجع إلى قوله: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ وهو بعيد"[6].

ومما سبق يظهر أن سبب الشذوذ يرجع إلى:

١- التقديم والتأخير دون سبب، وذلك أدى لطول الفصل بين العامل والمعمول، مما أخل بالمعنى، وخالف النظم والتركيب، وقد ذكر ابن جزي في وجوه الترجيح قوله:" الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير"[7]، ولا دليل هنا.

٢- انفراد ابن جريج به، ولم يقل به -فيما أعلم- إلا النحاس، وهو مخالف لمَ عليه جمهور المفسرين.

***

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٨١/٣)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٣٤١/٥) وفتح القدير، الشوكاني، (٥٦/٣).
(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٦٦/١٦).
(٣) الكشاف، الزمخشري، (٤٧٦/٢) .
(٤) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٣٤١/٥) .
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤١١/٤).
(٦) فتح القدير، الشوكاني، (٦٧/٣).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المثال الثاني: الموصوف بالنذير في قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾.

قال تعالى:﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾[1]. ذكر العز في معنى قول الله تعالى: ﴿ نَذِيرًا ﴾ قوله:" يعني النار، أو محمد ﷺ حين قال: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [2].

التحليل

تنوعت أراء المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ والموصوف بذلك، إلى عدة أقوال: **الأول**: أنه تمييز من (إحدى الكبر) لتضمنها معنى التعظيم، كأنه قيل: أعظم الكبر إنذاراً؛ حيث إن (نذيرا) بمعنى (الإنذار) ، كالنكير بمعنى الإنكار ، فكأنه قيل: إنها لإحدى الدواهي إنذاراً، ومثله قولهم: هي إحدى النساء عفافاً[3].

الثاني: أن (النذير) على وزن (فعيل) بمعنى (مُفْعِل) وهو حال من الضمير في ﴿ إِنَّهَا ﴾ قاله الزجاج[4]، وذُكِّرَ؛ لأن معناه معنى العذاب، أو أراد أنَّها (ذات إنذارٍ) على معنى النسب ، كقولهم: امرأة طالق وطاهر . وجاء في تفسير البغوي نقلاً عن الحسن ما نصه : " واللهِ ما أنذرَ الله الخلائق بشيءٍ أدهى منها"[5] .

الثالث: أنه حال من (إحدى) قاله ابن عطية [6].

الرابع: أنه مفعول به منصوب بإضمار: (أعني) [7] .

الخامس: أنَّه منصوب على المفعولية بفعل مضمر، أي: (نادِ، أو بلِّغ، أو أعلن) على أن المراد به رسول الله ﷺ[8].

---

(1) سورة المدثر، الآية (٣٦) .
(2) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، (٣٨٩/٣).
(3) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (٦٥٣/٤)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٣٣٦/١٠).
(4) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٢٤٩/٥) .
(5) معالم التنزيل، البغوي، (٢٧٨/٨) .
(6) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٦٩/٥).
(7) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٦٩/٥)، والدر المصون، السمين الحلبي، (٥٥٢/١٠).
(8) اللباب في علوم الكتاب (٥٣٠/١٩).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

السادس: أنَّه منصوب على الحالية بما دلَّت عليه الجملة ، وهو اختيار أبي البقاء (ت٦١٦هـ) حيث نسب إليه قوله:" والمختار أن يكون حالاً مما دلت عليه الجملة تقديره : عظمت نذيراً " [١]، وقد ارتضاه أبو حيان بقوله: " وهو قول لا بأس به " [٢] .

السابع: أنَّه حال من ﴿ هُوَ﴾ في قوله:﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٣][٤].

الثامن: أنَّه مفعول لأجله ، النَّاصب له ما في ﴿ ٱلْكُبَرِ ﴾ من معنى الفعل[٥] .

التاسع: أنه حال من الضمير في (إحدى) لتأويلها بمعنى العظم [٦].

وتعد هذه الأقوال صحيحة، ويمكن حمل الكلام عليها جميعها، فالمعنى المترتب عليها قد يكون مقبولا، على حين يعد القول الثاني في كلام العز- رحمه الله- من الآراء التفسيرية الشاذة حيث يقضي أن الموصوف بالنذير في إعراب قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا ﴾ أنه حال من فاعل ﴿ قُمْ ﴾ أول السورة ، والمراد بالنذير: محمدٌ ﷺ أي: قُمْ نذيراً للبشر، أي: مخوفاً لهم، وقد ردَّه المفسرون[٧] نتيجة طول الفصل بين العامل وهو الفعل (قم) في أول السورة، وبين معموله وهو(نذيرا) ، فقد أنكره الفراء (ت٢٠٧هـ)[٨]، وعدَّه الزمخشري من البدع، حيث

---

[١] التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق: علي البجاوي، طبعة الحلبي، مصر ١٩٧٦م، (١٢٥١/٢).
[٢] البحر المحيط، أبو حيان، (٣٣٦/١٠) .
[٣] سورة المدثر الآية (٣١).
[٤] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٥٣٠/١٩).
[٥] المصدر السابق.
[٦] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٣٣٦/١٠)
[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٨٥/١٩)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٥٣٠/١٩).
[٨] ينظر: معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجار وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر،(٢٠٥/٣) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

يقول عنه:" وهو من بدع التفاسير"[١]، وحكاه عنه ابن جزي[٢]، والخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)[٣].

وقال الشيخ الغماري عنه:" وهو إعراب في غاية البعد، لا يليق إلا بالمختصرات الشديدة الاختصار، مثل: مختصر خليل في فقه المالكية، والروض لابن المقري في فقه الشافعية، ولب الأصول لزكريا الأنصاري، ففي هذه الكتب وأمثالها تجد بين المبتدأ وخبره صفحتين كاملتين، وبين الحال وصاحبها ثلاث صحائف، ونحو ذلك من التعقيدات التي صعَّبت العلم، وصيرته أشبه بالرموز والألغاز"[٤].

ولعله يظهر مما سبق أن سبب الشذوذ يرجع إلى ما يأتي:

١- التقديم والتأخير دون سبب، مما أدى لطول الفصل بين العامل والمعمول، فجعله بمعزل عن الصواب.

٢- ردّ جمهور المفسرين له.

٣- مخالفته للسياق العام للآيات الكريمة.

***

(١) الكشاف، الزمخشري، (٦٥٥/٤) .
(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٦٢/٤) .
(٣) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٣١٦/٤).
(٤) بدع التفاسير، الغماري، (/١٤١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الرابع: الشذوذ بسبب عدم مراعاة أصل الكلمة.

مثال: (خروج الناس متآلفين هربا من الموت)

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾[1]. ذكر العز -رحمه الله- في معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ قوله:" مؤتلفو القلوب، أو ألوف في عددهم: أربعة آلاف، أو ثمانية آلاف، أو بضعة وثلاثون ألفاً، أو أربعون ألفاً، والألوف تستعمل فيما زاد على عشرة آلاف"[2].

التحليل

يظهر من كلام العز أن (الألوف) على معنيين:

أحدهما: بمعنى مؤتلفو القلوب، على أن الألوف جمع (آلف) على وزن (فاعل) كشاهد وشُهود وقاعد وقُعود، أي لم تخرجهم فُرْقَةُ قومهم، ولا فتنة بينهم، إنما كانوا مؤتلفين، فخالفت هذه الفرقة، فخرجت فرارا من الموت وابتغاء الحياة، فأماتهم الله في منجاهم بزعمهم[3]، وهو مروي عن ابن زيد[4].

الثاني: أن الألوف يعني ألوفاً في العدد. واختلف أصحاب هذا الرأي في عددهم على أربعة أقاويل: أحدها: كانوا أربعة آلاف. وهو مروي عن ابن عباس[5]. والثاني: كانوا ثمانية آلاف، وهو مروي عن مقاتل والكلبي[6]. والثالث: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً، وهو قول السدي[7]. والرابع: كانوا أربعين ألفاً، وهو مروي عن ابن عباس، وابن جريج [8].

---

(1) سورة البقرة، الآية (٢٤٣)

(2) تفسير العز بن عبد السلام (٢٣٢/١).

(3) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣١٢/١)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٢٨/١).

(4) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧٣/٥).

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٦٦/٥)، والكشف والبيان، الثعلبي، (٢٠٣/٢).

(6) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٢٠٣/٢).

(7) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣١٢/١).

(8) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣١٢/١)، ومعالم التنزيل، البغوي، (٣٢٩/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

والصواب في معنى الآية القول الثاني، الذي يدل على أن الأُلوف بمعنى كثرة العدد، أي أنهم عدد كثير، ألوف مُؤَلَّفة، وكثرة كاثرة، فما كان خوفهم عن قلّة، بل كان عن كثرة، وهو قول الجمهور[١]، قال الطبري:" وأولى القولين في تأويل قوله: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ بالصواب، قول من قال: عنى بالألوف كثرة العدد، دون قول من قال: عنى به الائتلاف، بمعنى ائتلاف قلوبهم، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم ولا تباغض، ولكن فرارا: إما من الجهاد، وإما من الطاعون، لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين[٢]، وقال البغوي:" وأولى الأقاويل قول من قال: كانوا زيادة على عشرة آلاف؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ والألوف جمع الكثير، وجمعه القليل آلاف، ولا يقال لما دون عشرة آلاف: ألوف"[٣].

ولعله مما سبق يتضح أن القول الأول في معنى (الألوف) يعد من الآراء التفسيرية الشاذة التي لا ترقَ للقبول، فهو بعيد عن السياق العام للآية الكريمة؛ لأن ذكر الألفة هنا مستبعد، ولا مناسبة تقتضيها، وقد عدَّه الكرماني من الغرائب[٤]، والزمخشري من البدع، حيث يقول:" ومن بدع التفاسير (أُلُوفٌ) متألفون، جمع آلف كقاعد وقعود"[٥]، وحكاه عنه أبو حيان(٧٤٥هـ)[٦]، والسمين(٧٥٦)[٧]، وابن عادل(٧٧٥هـ)[٨]، وورود الموت عليهم وهم كثرة

---

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧٦/٥)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٣٢٨/١)، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٢١٩/١)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٣١/٣)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢٠٢/١)، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٢٨/١)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (١٧٦/١)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٥٦٢/٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (٦٦١/١)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (٤٨٤/١).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٧٦/٥).

(٣) معالم التنزيل، البغوي، (٣٢٩/١).

(٤) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، (٢٢٠/١).

(٥) الكشاف، الزمخشري، (٢٩٠/١).

(٦) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٥٦٢/٢).

(٧) ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (٥٠٦/٢).

(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٢٤٨/٤).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

عظيمة تفيد مزيد اعتبار، وأما وروده على قوم بينهم ائتلاف فكوروده وبينهم اختلاف في أن وجه الاعتبار لا يتغير[1].

وعلى ذلك يظهر أن سبب الشذوذ هنا يرجع إلى ما يأتي:

١- عدم مراعاة أصل الكلمة، إذ إن (الألوف) جمع (ألف) على قول الجمهور، وليست جمع (آلف)، قال أبو حيان:" والجمهور على أن قوله: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ ، جمع ألف العدد المعروف الذي هو تكرير مائة عشر مرات"[2]، وقد ذكر ابن جزي في وجوه الترجيح قوله:" الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف، أو الاشتقاق" [3]، وما خالف هذه الأمور يعد من التفسيرات الشاذة.

٢- هذه الآية تعد من الآيات التي سكت القرآن الكريم عن التفصيل فيها ، وكان الأولى بالعز وغيره من المفسرين ألا يشغلوا أنفسهم بالمسكوت عنه، فالقرآن يركز على مواطن العبرة والعظة، قال أبو حيان:" وَهَذِهِ التَّقْدِيرَاتُ كُلُّهَا لَا دَلِيلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَفْظُ الْقُرْآنِ: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ لَمْ يَنُصَّ عَلَى عَدَدٍ مُعَيَّنٍ"[4].

***

المطلب الخامس: الشذوذ بسبب عدم مراعاة السياق.

---

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٥٦٢/٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩/١).
(٤) البحر المحيط، أبو حيان، (٥٦٢/٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

مثال: (شهادة المرأة مع غيرها في النواحي المالية)

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[1]. ذكر العز - رحمه الله- في معنى قوله تعالى:﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ قوله:" من الذكر، أو بجعلها كَذَكَر من الرجال"[2].

التحليل

يتضح من كلام العز أن المعنى في قوله: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ راجع إلى أمرين: **الأول**: فتذكر: من الذِّكْر بعد النسيان، فالآية الكريمة تتحدث عن شهادة المرأة في النواحي المالية، وهو قول قتادة، والسدي، والضحاك، وابن زيد"[3]، وجمهور المفسرين[4]، يقول مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ):" والمعنى: أَنْ تَضِلَّ المرأة، يعني أن تنسى إِحْداهُما الشهادة، فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الشهادة الْأُخْرى، يَقُولُ: تذكرها المرأة الأخرى التي حفظت شهادتهما"[5]، وقال الواحدي (ت٤٦٨هـ):" هذا من التذكير بعد النسيان، تقول لها: هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا، وبحضرتنا فلان أو فلانة؟ حتى تذكر الشهادة"[6]، وهو المعتمد عند المفسرين.

الثاني: أن قوله: ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ من التذكير الذي هو ضد التأنيث، أي تلحق إحداهما الأخرى بالذكور، أي: بالرجال في الشهادة، والمعنى تجعلها كذَكَرٍ من الرجال، يعنى: أنهما

---

(١) سورة البقرة ، من الآية (٢٨٢).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام، (٢٤٨/١).
(٣) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣٥٦/١).
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣٦٣/١)، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٥٦٢/٢)، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (٢٦٨/١)، وتفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د/محمد عبد العزيز بسيوني، نشر كلية الآداب، جامعة طنطا ١٩٩٩م، (٥٩٠/١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١٦٤/١)، ومدارك التنزيل، النسفي، (٢٨٨/١)، وتفسير ابن عرفة (٧٨٤/٢)، والجواهر الحسان، الثعالبي، (٥٤٨/١)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٧٢/٢).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان، (٢٢٩/١).
(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (٤٠٤/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذَّكَر، وهو منسوب لابن عيينة، فقد أخرج ابن المنذر عَن أَبِي عُبَيْدة، قَالَ: حَدَّثَتُ عَن سُفْيان بْن عُيَيْنَة، أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ تأويل قوله: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ من الذِّكْر بعد النسيان، إِنَّمَا هُوَ من الذَّكَر، يعني أنها إذا شهدت مَعَ الأخرى صارت شهادتها كشهادة الذَّكَر[1].

وهذا القول المنسوب لابن عيينة، والذي نقله عنه الماوردي، ثم العز، يعد من الآراء التفسيرية الشاذة التي لا ينبغي أن يحمل عليها كلام الله تعالى؛ لما فيه من التعسف، ومخالفة السياق، وقد ردَّه المفسرون[2]، يقول الطبري:" وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه، فتأويلٌ خطأ لا معنى له، لوجوه شتى: أحدها: أنه خلافٌ لقول جميع أهل التأويل. والثاني: أنه معلوم أن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها، إنما هو ذهابُها عنها ونسيانها إياها، كضلال الرجل في دينه: إذا تحيَّر فيه فعدَل عن الحق، وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة، فكيف يجوز أن تصيِّر الأخرى ذَكَرًا معها، مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ ولَلضّالة منهما في شهادتها حينئذ، لا شك أنها إلى التذكير أحوجُ منها إلى الإذكار"[3]، وعده الكرماني من الغرائب[4]، والزمخشري من البدع[5]، وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ):" وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا بَاطِلٌ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ شَرْعٌ، وَلَا لُغَةٌ، وَلَا عَقْلٌ"[6]، وعدم اعتماد هذا الرأي في التفسير هو ما عليه المفسرون.

ولعله مما سبق يبدو أن سبب الشذوذ يرجع إلى ما يأتي:

١- عدم مراعاة السياق، فالآية تتحدث عن شهادة المرأة في النواحي المالية.

٢- مخالفة ما أجمع عليه المفسرون في معنى الآية، والصواب أنه من الذكر بعد النسيان.

***

(١) تفسير القرآن، ابن المنذر، تحقيق: سعد محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة- السعودية ٢٠٠٢م، (٧٨/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٢٩٥/٢)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٨٢/١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (٧٥/٢).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٦٦/٦).

(٤) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني،(٢٣٦/١).

(٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (٣٢٦/١).

(٦) فتح القدير، الشوكاني، (٣٤٦/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المطلب السادس: الشذوذ بسبب حمل المعنى العام على الخاص دون قرينة.

مثال:(تقسيم هبات الأولاد)

قال تعالى:﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1].

ذكر العز – رحمه الله – في المعنى قوله:" ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ محضة، ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ متمحضة، ولشرف الذكور أدخل عليهم أداة التعريف، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ بأن تلد غلاماً ثم جارية، أو تلدهما معاً، والتزويج هنا: الجمع، زوجت الإبل جمعت بين صغارها وكبارها، ﴿ عَقِيمًا ۚ ﴾ عقم فرجه عن الولادة، والعقم: المنع، أو الآية خاصة بالأنبياء، محض للوط البنات، ولإبراهيم الذكور، وزوجهم لإسماعيل وإسحاق، وجعل يحيى وعيسى عقيمين"[2].

التحليل

الناظر في كلام العز يرى أنه ذكر تفسير الآتين علي وجهين:

أحدهما: أن المعنى فيهما على العموم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك، وابن زيد[3]، وجمهور المفسرين[4]، في هاتين الآيتين الكريمتين يُخبر تعالى أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن،

---

(1) سورة الشورى، الآيتان (٤٩، ٥٠) .
(2) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، (١٤٧/٣).
(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٥٥٧/٢١).
(4) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (٧٧٥/٣)، وجامع البيان، الطبري، (٥٥٧/٢١)، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤٠٢/٤)، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (١٧٣/٤)، ومعالم التنزيل، البغوي، (١٥٣/٤).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ يعني: من يشاء الأولاد الإناث، فلا يجعل معهن ذكوراً ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ يعني: يعطي من يشاء الأولاد الذكور، ولا يكون معهم إناث، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ ﴾ أي يجعلهم أزواجا، ذكرا وأنثى، لا أن يتزوج بعضهم بعضا، وقد جاء النص القرآني: ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ ﴾ للإشارة إلى ما يقع في نسبة الذكور والإناث من اختلاف عند من يرزقون الذكور والإناث، فقد يرزق الإنسان ذكرا وأنثى، أو ذكرا وعددا من الإناث، أو عددا من الذكور وأنثى، أو أعدادا متساوية من الذكور والإناث، ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ إشارة إلى الصنف الرابع الذي تكمل به الصورة، التي يكون عليها حال الناس جميعا في هذا الرزق المقسوم من الولد، فالناس في هذا الرزق أربعة أصناف، لا يتجاوزونها: بعضهم يرزق الإناث ولا ذكور، وبعضهم يرزق الذكور ولا إناث، وبعضهم يرزق الذكور والإناث، وبعضهم عقيم، لا يرزق ذكورا ولا إناثا، فلا يعطيه شيئاً من الولد[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ تعقيب على هذا الرزق الذي بين يديه سبحانه، والذي يهب منه ما يشاء لمن يشاء، فهو العليم بما يهب، ولمن يهب، وهو القدير على ما يشاء من عطاء ومنع ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2][3]، فالتقسيم في الآيتين لكل البشر، قال البغوي:" والآية

---

[1] ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٢٤٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢١٦/٧)، والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، (٨٧/١٣) .

[2] سورة الأعراف، الآية (٥٤) .

[3] ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٨٧/١٣).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

عامة في حق كافة الناس"[١]، وقال ابن جزي:" والظاهر أنها على العموم في جميع الناس، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر"[٢].

الثاني: أن المعنى في الآتين على الخصوص، والمعنى على ذلك أن الآية خاصة بالأنبياء[٣]، وهو قول النقاش كما حكاه الماوردي، فقد وهب الله تعالى للوط عليه السلام البنات، ولإبراهيم عليه السلام الذكور، ولإسماعيل وإسحاق عليهما السلام البنين والبنات، وكان العقم من نصيب يحيى وعيسى عليهما السلام[٤].

وهذا المعنى لا أصل له من الصحة، فهو من الآراء التفسيرية الشاذة التي جانبها الصواب، في هذا التخصيص؛ لأنه تخصيص للآية بدون دليل، ثم تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم لا دليل عليه، ثم العقيم من تزوج ولم يولد له، ويحيى وعيسى لم يتزوجا أصلا[٥]، فهو تفسير باطل منحرف، وقد عدَّه الكرماني من الغرائب[٦].

ولعله يظهر مما سبق أن علة شذوذ هذا الرأي راجعة إلى حمل معنى العموم الوارد في الآية الكريمة على الخصوص بدون دليل على ذلك مما أخل بالمعنى، وقد ذكر ابن جزي في وجوه الترجيح قوله:" تقديم العمومي على الخصوصي، فإنّ العمومي أولى لأنه الأصل، إلّا أن يدل دليل على التخصيص"[٧].

***

(١) معالم التنزيل، البغوي، (١٥٣/٤).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٢٥٢/٢).
(٣) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٢٤٩/٣)، والكشف والبيان، الثعلبي، (٣٢٥/٨)، والنكت والعيون، الماوردي، (٢١١/٥)، والتفسير الوسيط، الواحدي، (٦٠/٤)، وتفسير السمعاني، (٨٦/٥)، وزاد المسير، ابن الجوزي، (٦٩/٤)، وتفسير العز بن عبد السلام، (١٤٧/٣).
(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٢١١/٥).
(٥) ينظر: بدع التفاسير، الغماري، (/١٢٣).
(٦) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، (١٠٥٦/٢).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني: الشذوذ بسبب الإسرائيليات وما سكت عنه القرآن.

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الشذوذ بسبب الإسرائيليات.

المطلب الثاني: الشذوذ بسبب تعيين المبهمات وما سكت عنه القرآن.

***

المطلب الأول: الشذوذ بسبب الإسرائيليات

المثال الأول: القول في معنى السكينة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]. ذكر العز -رحمه الله- في معنى (السكينة): أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، أو طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، أو روح من الله تتكلم، أو ما تعرفونه من الآيات فتسكنون إليه، أو الرحمة، أو الوقار[2] [3].

التحليل

يفهم من كلام العز المذكور في معنى السكينة أن لها معانٍ ستة:

الأول: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، وهذا القول منسوب لعلي بن أبي طالب ﷺ[4]، **والثاني:** طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، وهو منسوب لابن عباس والسدي[5]، **والثالث:** روح من الله تتكلم، وهو قول وهب بن منبه[6]، **والرابع:** ما

---

(1) سورة البقرة، الآية (٢٤٨).
(2) وهذا القول منسوب لوهب بن منبه ﷺ. ينظر: جامع البيان، الطبري، (٣٢٩/٥).
(3) تفسير العز بن عبد السلام (٢٣٤/١).
(4) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٣٢٦/٥)، والنكت والعيون، الماوردي، (٣١٥/١)
(5) المصدران السابقان.
(6) المصدران السابقان.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

تعرفونه من الآيات فتسكنون إليه، وهو قول عطاء بن أبي رباح[١]، **والخامس**: أنها الرحمة، وهو قول الربيع بن أنس[٢]، **والسادس**: أنها الوقار، وهو قول قتادة[٣].

والحق أن الأقوال الثلاثة الأُول ليس في القرآن ما يدل على صحة شيء من ذلك، ولا فيما صح عن النبي ﷺ ، وإنما هي من أخبار بني إسرائيل، جاؤوا بها لقصد التلاعب بالمسلمين، والتشكيك عليهم، وقد نقلها إلينا مسلموا أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار وأمثالهما، وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض، ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويا عن النبي ﷺ ولا رأيا رآه قائله، فهم أجل قدرا من التفسير بالرأي، وبما لا مجال للاجتهاد فيه، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي ﷺ لوجب علينا المصير إليه والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح، بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن كما في صحيح مسلم من حديث البراء قال: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ:« تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ»[٤] وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها رسول الله ﷺ سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ[٥].

والإمام الطبري على جلالة قدره ومكانته أجاز ما سبق في معنى السكينة[٦]، وسار على منواله العز، وقد جانبهما الصواب في ذلك، فهي من الآراء التفسيرية الشاذة والتي لا تصح أبدا، ولا يحمل عليها كلام الله تعالى.

أما الأقوال الثلاثة الأخرى المتبقية، فيمكن حمل المعنى عليها، وإن كان المعنى الذي ذكره المفسرون في السكينة هو الطمأنينة، والسكون الذي يحلّ بالقلب، عند تقديم التابوت أمام الجيش، فهو من أسباب السكون، والطمأنينة، وبذلك: تقوى نفوسهم، وتشتد معنوياتهم

---

(١) المصدران السابقان.
(٢) المصدران السابقان.
(٣) المصدران السابقان.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: نُزُولِ السَّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (٥٤٧/١) رقم [٧٩٥].
(٥) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (٣٠٦/١).
(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٣٣٠/٥).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

فيكون ذلك من أسباب النصر، فهو مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾[1] أي طمأنينته، وما ثبت به قلبه، ومثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[2] وقوله: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[3] فالمراد بالسكينة طمأنينة القلوب، وثبات النفوس[4].

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن علة الشذوذ هنا هو الاعتماد في المعنى على الأخبار المكذوبة التي جاءتنا عن طريق بني إسرائيل، والتي تسمى بالإسرائيليات، وكان الأولى بالعز أن يعقب بالرد عليها، أو ينزه تفسيره عنها، حيث يصرف القارئ عن تدبر معاني الآيات، وما فيها من عظة وعبرة، كما أنه يشكك القارئ فيما ورد في التفسير من تفاسير صحيحة فيظن أن الكل من واد واحد[5].

***

(1) سورة التوبة، الآية (٤٠).
(2) سورة الفتح، الآية (٤).
(3) سورة الفتح، الآية (٢٦).
(4) ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د/ محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة ١٤٠٨هـ، (/١٧١).
(5) ينظر: العز بن عبد السلام حياته وآثاره، د/عبد الله الوهيبي، (/٢٤٦).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المثال الثاني: حال السماء في الآخرة

قال تعالى:﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[1]. قال العز – رحمه الله – في معنى السجل:" الصحيفة تُطوى على ما فيها من الكتابة، أو ملك يكتب أعمال العباد، أو اسم رجل كان يكتب للرسول ﷺ " [2].

التحليل

هذه الآية الكريمة تبين عظم قدرة الله تعالى، وأن السماء مع كبرها وسعتها يطويها يوم القيامة ويضمها، كما يضم السجلّ أوراق الكتاب، وقد ذكر العز في معنى (السجل) ثلاثة آراء:

الأول: الصحيفة تُطوى على ما فيها من الكتابة، وهو قول ابن عباس ومجاهد[3].

الثاني: ملك يكتب أعمال العباد، وهو قول ابن عمر والسدي[4].

الثالث: اسم رجل كان يكتب للرسول ﷺ ، وهو قول ابن عباس[5].

والصواب من القول أن (السجل) هو الصحيفة تُطْوَى على ما فيها من الكتابة، وذلك لانسجامه مع السياق العام للآية الكريمة، فضلا عن أنه المعروف في اللغة[6]، وهو ما عليه جمهور المفسرين، قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجلّ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه، فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى كذلك، وإنما معناه: يوم نطوي السماء كطيّ السجل على ما فيه من الكتاب، ثم جعل نطوي مصدرا، فقيل: (كطي السجل للكتاب) واللام في قوله: (للكتاب) بمعنى على"[7].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية (١٠٤) .
(2) تفسير العز بن عبد السلام، (٣٤٠/٢).
(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٥٤٣/١٨)، والنكت والعيون، الماوردي، (٤٧٤/٣).
(4) المصدران السابقان.
(5) المصدران السابقان.
(6) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: سجل، (٣٢٦/١١).
(7) جامع البيان، الطبري (٥٤٣/١٨).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أما القولان الآخران في معنى السجل أنه ملك يكتب أعمال العباد، أو أنه اسم صحابي كان يكتب للرسول ﷺ ، فيعدان من الآراء التفسيرية الشاذة التي لا تصح، فهما بعيدان كل البعد عن معنى الآية، وعن سياقها، وعدم صحتهما لا تخفى على أحد، ومعلوم أنه ليس في الملائكة، ولا في الصحابة من اسمه السجل، قال السمعاني:" رُوِيَ عَن ابْن إِسْحَاق أَن السّجل كَاتب للنَّبِي، وَهُوَ قَول غَرِيب"[1]، وقال ابن جزي:" وقيل: السجل رجل كاتب وهذا ضعيف، وقيل: هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضا ضعيف"[2]، وأرى أن مرد هذا إلى الإسرائيليات التي ينبغي أن ننحي التفسير بعيدا عنها.

ويتضح مما سبق أن علة الشذوذ هنا هو تفسير الآية على ما جاء من قبيل الإسرائيليات، والتي لا يخفى ضعفها وعدم صحتها.

***

(1) تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، دار الوطن، الرياض ١٩٩٧م، (٤١٢/٣).
(2) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٣٠/٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المثال الثالث: القول في معنى الصخرة

قال تعالى:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾[1]. ذكر العز بن عبد السلام- رحمه الله تعالى- في معنى الصخرة أنها: خضراء تحت الأرض السابعة على ظهر الحوت، خضرة السماء منها. وقيل: إنها في سجين التي يكتب فيها أعمال الكفار، أو في صخرة في جبل"[2].

التحليل

في هذه الآية الكريمة يحكي سبحانه وتعالى وصية من وصايا لقمان لولده، والتي يبين فيها عظم قدرة الله ﷻ ، فهما تكن المعصية، أو الطاعة صغيرة، فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه، كجوف الصخرة، أو حيث كانت من العالم العلوي أو السفلي، يأت بها الله يوم القيامة، فيحاسب عليها[3].

وقد ذكر العز في معنى الصخرة ثلاثة أقوال: **الأول**: صخرة خضراء تحت الأرض السابعة على ظهر الحوت، خضرة السماء منها، وهذا القول مروي عن ابن عباس[4]، والثاني: صخرة في سجين، التي يكتب فيها أعمال الكفار[5]، والثالث: صخرة في جبل، وهو قول قتادة[6]، وهذه الآراء الثلاثة في معنى الصخرة لا أساس لها من الصحة، بل هي من قبيل الإسرائيليات التي ينبغي أن ننحي كلام الله تعالى بعيدا عنها، قال ابن عطية :" وهذا كله ضعيف لا يثبته سند، وإنما معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم، أي أن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة، وما يكون في السماء، وفي الأرض"[7]، وقال ابن كثير:" وهذا- والله أعلم- كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه"[8].

وعلى ذلك فعلة شذوذ هذه الآراء، هي اعتمادها على الإسرائيليات، والأخبار الكاذبة عن بني إسرائيل.

***

(١) سورة لقمان، الآية (١٦) .
(٢) تفسير العز بن عبد السلام، (٥٤٠/٢).
(٣) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، (٧١٥/٢)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٤١٥/٨).
(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، (١٤١/٢٠).
(٥) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣٣٨/٤).
(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، (١٤١/٢٠)، والنكت والعيون، الماوردي، (٣٣٨/٤).
(٧) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٥٠/٤).
(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٨/٦).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المثال الرابع: القول في معنى الحجاب

قال تعالى:﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[1]. قال العز – رحمه الله – في معنى الحجاب:" هو جبل أخضر محيط بالدنيا، أو توارت الخيل بالحجاب، والحجاب: الليل لستره ما فيه "[2].

التحليل

اختلف المفسرون حول مرجع الضمير والمراد بالحجاب في قوله:﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ وكانوا في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الضمير يعود على الشمس، والحجاب: الاستتار بما يحجبها عن الأبصار.

وهو قول الجمهور، يقول الطبري:" وقوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ يقول : حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيبت في مغيبها" [3]، وقال الزمخشري:" والذي دلّ على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي، ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر"[4]، ويقول القرطبي:" الأكثر في التفسير أن التي توارت بالحجاب هي الشمس، وتركها لدلالة السامع عليها بما ذُكر مما يرتبط بها ومتعلق بذكرها، حسب ما تقدم بيانه"[5].

الثاني: أن الضمير يعود على (الصافنات)، والمراد بالحجاب حجاب الليل وهو الظلام .

---

(1) سورة ص، الآيتان (٣١، ٣٢) .
(2) تفسير العز بن عبد السلام، (٥٤٠/٢).
(3) جامع البيان، الطبري، (١٩٤/٢١).
(4) الكشاف، الزمخشري، (٩٤/٤) .
(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥٦٠/٨).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقد رجحه الفخر الرازي[1]، وغيره[2]، يقول أبو حيان:" والظاهر أن الضمير في ﴿ تَوَارَتۡ ﴾ عائد على ﴿ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ﴾، أي: دخلت اصطبلاتها ، فهي الحجاب . وقيل: حتى توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر" [3]، واختاره من المحدثين الدكتور طنطاوي؛ حيث يقول:" الضمير في قوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتۡ ﴾ يعود إلى الصافنات ؛ لأنه أقرب مذكور" [4].

الثالث: أن الضمير يرجع إلى الشمس، والحجاب اسم لجبل دون قاف تغرب الشمس من خلفه[5].

والقول الأول أرجح الأقوال، إذ هو المناسب لسياق الكلام، وهو ما عليه جمهور المفسرين[6]، يقول الألوسي:" ما عند الجمهور أولى بالقبول" [7]، والقول الثاني وإن رجحه البعض إلا أن الأول أرجح منه كما ذكر، على حين يأتي القول الثالث الذي يحكي حكاية الجبل، سواء الجبل الأخضر المحيط بالدنيا، كما نقل العز، أو أنه جبل دون قاف، أو كان جبل قاف نفسه، من قبيل الإسرائيليات التي لا أساس لها من الصحة، وقد عدَّه الزمخشري من البدع؛ حيث يقول:" ومن بدع التفاسير: أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة، تغرب

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م،(١٧٩/٢٦).
(٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٤٩٧/٣).
(٣) البحر المحيط، أبو حيان، (٣٨٠/٧).
(٤) التفسير الوسيط، د/محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٨م،(١٦١/١٢).
(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (٩٣/٤)، والكشف والبيان، الثعلبي، (٢٠١/٨)، والكشاف، الزمخشري، (٩٣/٤)، ولباب التأويل، الخازن، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م، (٤٠/٤).
(٦) ينظر على سبيل المثال: تفسير مقاتل بن سليمان، (٢٦٧/٣) ، والكشف والبيان، الثعلبي، (٢٠١/٨)، ومعالم التنزيل، البغوي، (٨٩/٧) ، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (٥٧٤/٤) وزاد المسير، ابن الجوزي، (١٣٠/٧)، ومدارك التنزيل، النسفي، (٣٤/٤) ، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٨٥/٣)، والجواهر الحسان، الثعالبي، (٣٨/٤)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٢٢٦/٧) ، وفتح القدير، الشوكاني، (٤٣١/٤) ، وروح المعاني، الألوسي، (١٨٤/١٢) .
(٧) روح المعاني، الألوسي، (١٨٤/١٢) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الشمس من ورائه"[1]، وقال الألوسي:" لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات ، فلم يشاهدوا ذلك"[2].

وقد وقف العلماء الآن على كثير من الحقائق العلمية والكونية في الفضاء الكوني الرحيب ، وهذا يجعلنا نؤكد أن حكاية هذا الجبل يعد خرافة بحق ؛ حيث لا ينهض على صحتها دليل علمي أو ديني ، إذ كيف يخفى على علماء الجغرافيا وسفن الفضاء التي تدور حول الأرض واستقرت بعض المعدات الحديثة على القمر، من عدم الكشف عن هذا الجبل المزعوم ؟ [3].

ولعله مما سبق يتضح لنا أن علة الشذوذ هنا هو الاعتماد في معنى الآية على الإسرائيليات، مما أدى إلى فساد المعنى، والبعد عن الفهم المراد.

***

(1) الكشاف، الزمخشري، (٩٤/٤) .
(2) روح المعاني، الألوسي، (١٨٤/١٢) .
(3) ينظر: الدخيل في التفسير، د/ محمد يحيى عبد المنعم (١٥/١) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني: الشذوذ بسبب تعيين المبهمات وما سكت عنه القرآن

مثال:(الأمن من الخوف)

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾[1]. ذكر العز – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ قوله:" العرب أن تقتلهم، أو تسبيهم تعظيماً للبيت، ولما سبق من دعوة إبراهيم ﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾[2]، أو من خوف الحبشة مع الفيل، أو من خوف الجذام، أو آمنهم أن تكون الخلافة إلا فيهم. قاله علي ﷺ" [3].

التحليل

وقد جاء الخوف الذي آمنهم منه الله تعالى في سياق النكرة، وهي تدل على العموم، فاحتمل أمورا كثيرة، ومن ثم جاء اختلاف المفسرين في تحديد المراد منه إلى عدة آراء منها:

الأول : أنّ هذا الأمن من الخوف كان بسبب دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ؛ حيث قال: ﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ وهو قول ابن عباس [4].

الثاني : أنّ العرب كان يغير بعضهم على بعض ، ويسبي بعضهم بعضاً ، فأمنت قريش ذلك لمكان الحرم، قاله ابن زيد[5] .

الثالث : أنّ المعنى : شق على قريش السَّفر في الشتاء والصيف ، فألقى الله ﷻ في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً في السَّفر، فخافت قريش منهم وظنُّوا أنهم خرجوا لحربهم، فخرجوا إليهم متحرزين، فإذا هم قد جلبوا لهم الطعام، وأعانوهم بالأقوات، فكان أهلُ

---

(1) سورة قريش، الآية (٤) .
(2) سورة إبراهيم، الآية (٣٥) .
(3) تفسير العز بن عبد السلام، (٤٩٣/٣).
(4) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٦٢٤/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠٩/٢٠).
(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٦٢٤/٢٤)،

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

مكة يخرجون إلى جدّة بالإبل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين، وهو معنى ما قاله قتادة[١] .

الرابع: أن المقصود به هو أن قريشاً لما كذبوا النبي ﷺ دعا عليهم، فقال: « اللَّهُمَّ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»[٢]، فاشتد القحط، فقالوا: يا محمد، ادعُ الله لنا فإنا مؤمنون، فدعا لهم رسول الله ﷺ فأخصبت (تبالة) و (جرش) من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، وأخصب أهلها[٣].

الخامس : أن المراد هو أنه آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل ، قاله الأعمش[٤].

السادس: أنّ معناه: آمنهم من خوف الجذام، قاله الضحاك[٥]، والسدي، وسفيان الثوري[٦]

السابع: آمنهم أن تكون الخلافة إلا فيهم، وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ[٧].

والحق أن معنى الآية الكريمة يحتمل الآراء الستة الأُوَل جميعها على سبيل العموم ، قال الطبري: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه (آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدوّ دون الجذام، ولا من الجذام دون العدوّ، بل عمّ الخبر بذلك ، فالصواب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه"[٨].

أما القول السابع فيعد من الآراء التفسيرية الشاذة، فقد أتى مجانبا الصواب، ومخالفا للسياق العام، وغير مناسب لمعنى الآية الكريمة، ومن ثم ضعفه المفسرون واستبعدوه[٩]، فقد

---

(١) المصدر السابق.
(٢) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: (يغشى الناس هذا عذاب أليم) (١٣١/٦) رقم [٤٨٢١] .
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠٩/٢٠).
(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣٤٩/٦).
(٥) ينظر: تفسير الضحاك، (٩٨٨/٢) .
(٦) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٣١١/٥).
(٧) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٠٣/١٠)، النكت والعيون، الماوردي، (٣٤٩/٦)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠٩/٢٠)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٥١٠/٢٠).
(٨) جامع البيان، الطبري، (٦٢٥/٢٤) .
(٩) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٦٨٨/٤)، وروح البيان، إسماعيل حقي، (٥١٩/١٠)

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

عدَّه الكرماني من الغرائب[١]، والزمخشري من البدع[٢]، وقال النيسابوري:" وقيل: من أن تكون الخلافة في غيرهم وفيه تكلف"[٣]، وقال الألوسي:" وحكى الكرماني في غرائب التفسير أنه قيل في قوله تعالى: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أن الخلافة لا تكون إلا فيهم وهذا من البطلان بمكان كما لا يخفى" [٤].

ولعله مما سبق يبدو أن علة شذوذ هذا الرأي هي اهتمام بعض المفسرين بتعيين المبهمات، والمسائل المغفلة التي سكت عنها القرآن الكريم، لعدم الفائدة منها، وذلك أوقعهم في الخطأ حيث قاموا بتعيين معنى بعيدا كل البعد عن معنى الآية الكريمة، مما ضعفه جمهور المفسرين، وعُدَّ من الآراء الشاذة في التفسير.

ومن الجدير بالذكر أن في الآية الكريمة دليلاً على عِظَمِ نعمة الله ﷻ عليهم في الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف؛ لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد ولا يهدأ له بال إلا بتحصيل هاتين النعمتين معًا؛ إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما، ويدعم ذلك قول النبي ﷺ :« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًا فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمٍ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[٥]،[٦].

***

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، (١٣٩٣/٢).
(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (٨٠٧/٤) .
(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (٥٧١/٦).
(٤) روح المعاني، الألوسي، (٢٤١/٣٠).
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، (٥٧٤/٤) حديث رقم [٢٣٤٦] ، وحسنه الألباني .
(٦) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (١١٢/٩).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث: أسباب الشذوذ المتعلقة بترك طرق التفسير المعهودة.

واحتوى على مطلبين:

المطلب الأول: الآراء التفسيرية الشاذة بسبب إغفال سبب النزول.

المطلب الثاني: الآراء التفسيرية الشاذة بسبب ضعف الحديث.

***

المطلب الأول: الآراء التفسيرية الشاذة بسبب إغفال سبب النزول.

مثال:(إطلاق البيت على المرأة)

قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]. ذكر العز– رحمه الله – في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ قوله:" كنى به عن إتيان النساء في أدبارهن؛ لأن المرأة يأوى إليها كما يأوى إلى البيت، أو هو مثل لإتيان البيوت من وجهها ولا يأتونها من غير وجهها، أو كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه، فدخل الرسول ﷺ دار رفاعة الأنصاري، فجاء فتسور الحائط على الرسول ﷺ ، فلما خرج الرسول ﷺ من الباب خرج معه رفاعة، فقال الرسول ﷺ: ما حملك على هذا " فقال: رأيتك خرجت منه، فقال الرسول ﷺ: " إني رجل أَحْمَس " فقال رفاعة: إن تكن رجلاً أحمس، فإن ديننا واحد فنزلت ... . "، وقريش يُسمون الحُمْس لتحمسهم في دينهم، والحماسة: الشدة [2].

التحليل

في هذه الآية الكريمة نهي للمسلمين عن عادة كانوا يفعلونها في الجاهلية، وهي أنهم كانوا إذا عادوا من حجهم، أو أحرموا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، بل كانوا يدخلون من نقب ينقبونه في ظهور بيوتهم، وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء ﷺ، يَقُولُ: «

---

[1] سورة البقرة، الآية (١٨٩)

[2] ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، (١٩٥/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾[1]

والمعنى: وليس من البر ما كنتم تفعلونه في الجاهلية من دخولكم البيوت من ظهورها عند إحرامكم، أو عودتكم من حجكم، ولكن البر الحق الجامع لخصال الخير يكون في تقوى الله، بأن تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وإذا ثبت ذلك فعليكم أن تأتوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم، أو رجوعكم من حجكم، وفي الأمر بإتيان البيوت من أبوابها، إشعار بأن إتيانها من ظهورها باسم الدين غير مأذون فيه، وكل ما يفعل باسم الدين وليس له في الدين من شاهد فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة[2]، وهذا المعنى هو ما عليه عامة المفسرين[3].

وقد ذكر العز في معنى الآية ثلاثة أقوال:

الأول: أنه كناية عن إتيان النساء في أدبارهن؛ لأن المرأة يأوى إليها كما يأوى إلى البيت، والمعنى: لا تأتوا النساء من حيث لا يحل من ظهورهن، وأتوهن من حيث يحل من قُبُلهن، وهو قول ابن زيد[4].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت ١٤٢٢ه، كتاب: الحج، باب: قول الله تعالى: (وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ) (٨/٣) رقم [١٨٠٣] ، وينظر: أسباب النزول، الواحدي، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٨م، (٥٠)، ولباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، تحقيق: محمد محمد تامر، دار التقوى، القاهرة، (٤٢)، والصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، دار الحرمن، القاهرة ٢٠٠٣م، (٤٠).

(2) ينظر: التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي، (٤٠٥/١).

(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (١٦٦/١)، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٢٦٢/١)، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، تحقيق: حسين عكاشة، مكتبة الفاروق الحديثة، مصر ٢٠٠٢م، (٢٠٤/١)، وغيرهم.

(4) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٢٥٠/١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الثاني: أنه مثل لإتيان البيوت من وجهها، ولا يأتونها من غير وجهها[١]، والمعنى: ليس البر أن تسألوا الجهّال، ولكن اتقوا واسألوا العلماء، فهذا كما يقال: أتيت هذا الأمر من بابه[٢].

الثالث: أنهم كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه، فدخل الرسول ﷺ دار رفاعة الأنصاري، فجاء فتسور الحائط على الرسول ﷺ ، فلما خرج الرسول ﷺ من الباب خرج معه رفاعة، فقال الرسول ﷺ: ما حملك على هذا " فقال: رأيتك خرجت منه، فقال الرسول ﷺ: " إني رجل أحمَس " فقال رفاعة: إن تكن رجلاً أحمَس، فإن ديننا واحد فنزلت ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ "[٣]، وقريش يُسمون الحمس لتحمسهم في دينهم، والحماسة: الشدة[٤].

الترجيح بين الأقوال

القول الأول والذي يفهم من كلام العز ترجيحه له، حيث ذكره أولا مخالفا في ذلك ترتيب الماوردي في الأقوال يعد غير ملائم للمعنى الذي تتحدث عنه الآية الكريمة، ومن ثم فهو من الآراء التفسيرية الشاذة ؛ وذلك لأمرين: **الأول:** أنه لا يوافق سبب النزول، ولا يتماشى مع سياق الآية ونظمها؛ لأن المعنى: وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها، ولكن البر من اتقى الله فخافه وتجنب محارمه، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها، فأما إتيانُ البيوت من ظهورها فلا برَّ لله فيه، فأتوها من حيثُ شئتُم من أبوابها وغير أبوابها، ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال، فإن ذلك غيرُ جائزٍ لكم اعتقادُه، لأنه مما لم أحرمه عليكم[٥]،

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، (ص/٦٨).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث جابر، كتاب: المناسك، (٦٥٧/١) رقم (١٧٧٧)، وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص.
(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٢٥٠/١).
(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٥٦٠/٣).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ثانيهما: أن معناه جاء مصرحا به في قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1]، فلا فائدة في استنباطه من هذه الآية، بطريق الكناية، إلا مجرد التكرار الخالي من أي نكتة بيانية، أو حكمة تشريعية، وهذا مما يجب تنزيه القرآن عنه[2].

وقد رده المفسرون، يقول ابن عطية:" وأما ما حكي من أَنَّ الْآيَةَ مَثَلٌ فِي جِمَاعِ النِّسَاءِ، فبعيد مُغَيِّرٌ نَمَطَ الْكَلَامِ"[3]، وتبعه القرطبي[4]، وأبو حيان[5] الذين رأوا أن هذا الرأي بعيدٌ مغير خط الكلام، ولا يتفق مع المعنى المراد، فما علاقة ما كان يفعله الأنصار في الحج، بما ذكر في معنى الآية، وأنه كناية عن عدم إتيان النساء في أدبارهن حتى تفسر به الآية ؟

أما القول الثاني: فيمكن حمل الآية عليه وإن كان مرجوحا، أما القول الثالث والأخير فهو الموافق لسبب النزول وهو الصواب في معنى الآية.

ويبدو مما سبق أن علة شذوذ الرأي الأول ترجع إلى ما يلي:

١- إغفال سبب نزول الآية الذي نزلت من أجله، ولم تفسر به، فالآية قد لا يتضح معناها إلا بمعرفة سبب نزولها.

٢- انفراد ابن زيد بهذا القول وشذوذه به عن جمهور المفسرين.

***

(١) سورة البقرة، الآية (٢٤٣)
(٢) ينظر: بدع التفاسير، الغماري، (/٢٣).
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٦١/١) .
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٤٦/٢).
(٥) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٢٣٩/٢).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني: اعتماد أحاديث ضعيفة لبيان المعنى.

مثال:(سبب لبث يوسف عليه السلام في السجن)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[1]. ذكر العز - رحمه الله- رأيان حول مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ﴾ " الضمير للساقي نسي ذكر يوسف عند ربه، سيده، أو ليوسف نسي ذكر الله – تعالى – بالاستغاثة به، قال الرسول ﷺ: « رَحِمَ اللَّهُ يُوسُفَ لَوْلَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ»[2]، وذكر أنه عوقب بطول السجن بضع سنين بكلمته ولو ذكر ربه لخلّصه[3].

التحليل

القول الأول في مرجع الضمير والذي يفيد برجوعه إلى الساقي، وأنه نسى ذكر يوسف عليه السلام لسيده، هو ما عليه عامة المفسرين[4] والمعنى: أَنْسَى الشَّيْطَانُ السَّاقِيَ أَنْ يَذْكُرَ يُوسُفَ لِرَبِّهِ، أَيْ لِسَيِّدِهِ، وَفِيهِ حَذْفٌ، أي: أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَهُ لِرَبِّهِ، وسماه ربًّا مع أن يوسف نبي التوحيد، من قبيل رب الأسرة بمعنى راعيها، وحافظها، فنسي أن يذكر ذلك، فمكث نبي اللّه بعد ذلك بضع سنين، وهذا قوله تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ ، قال الواحدي:" وذهب القوم إلى أن الكناية راجعة إلى الساقي

---

(1) سورة يوسف ، الآية (٤٢).

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب : بدء الخلق، باب: ذِكْرُ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ لَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ، (٨٦/١٤) رقم [٦٢٠٦]. وهو حديث منكر. ينظر: التحليلات الحسان على صحيح ابن حبان، الألباني، (٤٦/٩).

(3) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، (١٢٢/٢).

(4) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (٦١٤/٢)، والكشاف، الزمخشري، (٤٧٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٩٥/٩)، والبحر المحيط، أبو حيان، (٢٨٠/٦)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٩١/٤)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (١٠٩/١١)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود،(٢٨٠/٤)، ومحاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨ه، (١٧٩/٦)، وتفسير القرآن الحكيم، محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م، (٢٥٨/١٢)، والتفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي، (٣٦٤/٧)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، تأليف د/ وهبه مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ١٤١٨م، (٢٧١/١٢)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (٣٨٢٦/٧).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

على معنى: أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه"[1]، وقال أبو حيان:" وَالضَّمِيرُ فِي فَأَنْسَاهُ عَائِدٌ عَلَى السَّاقِي، وَمَعْنَى ذِكْرَ رَبِّهِ: ذِكْرَ يُوسُفَ لِرَبِّهِ، وَالْإِضَافَةُ تَكُونُ بِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ، وَإِنْسَاءُ الشَّيْطَانِ لَهُ بِمَا يُوَسْوِسُ إِلَيْهِ مِنِ اشْتِغَالِهِ حَتَّى يُذْهَلَ عَمَّا قَالَ لَهُ يُوسُفُ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِيُوسُفَ مِنْ إِجْزَالِ أَجْرِهِ بِطُولِ مَقَامِهِ فِي السجن" [2]، وقال ابن كثير:" هَذَا هُوَ الصَّوَابُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ عَائِدٌ عَلَى النَّاجِي"[3].

أما القول الثاني والمنسوب لابن عباس ومجاهد[4]، ويفهم من كلام العز ترجيحه له حيث استدل عليه بالحديث، والذي يفيد بأن الضمير يعود إلى يوسف عليه السلام ، وأن المعنى: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه ﷻ حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بالمخلوق، وأن هذه غفلة عرضت ليوسف من قِبَلِ الشيطان، ونسي لهذا ربّه ﷻ الذي لو به استغاث لأسرع خلاصه، ولكنّه غفل وطال من أجلها حبسه، مستدلين على ذلك بحديث رسول ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ يُوسُفَ لَوْلَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ»، فيعد من الآراء التفسيرية الشاذة، والتي لا تصح في حق يوسف عليه السلام، فقد كان داعيا إلى الله تعالى في السجن، فكيف يعقل بعد هذا أن يقال عنه: تغلب عليه الشيطان حتى نسي ذكر ربه؟ قال أبو حيان:" وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي أَنْسَاهُ عَائِدٌ عَلَى يُوسُفَ، وَرَتَّبُوا عَلَى ذَلِكَ أَخْبَارًا لَا تَلِيقُ نِسْبَتُهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ"[5]، وعلى الرغم من هذا، قد اختار هذا الرأي بعض المفسرين[6]، مثل الطبري، والزجاج، يقول الطبري:" وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن غفلة عَرَضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (٦١٤/٢).
(2) البحر المحيط، أبو حيان، (٢٨٠/٦).
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٩١/٤).
(4) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (٦١٤/٢).
(5) البحر المحيط، أبو حيان، (٢٨٠/٦).
(6) ينظر: تفسير مقاتل،(٣٣٥/٢)، وبحر العلوم، السمرقندي، (١٩٤/٢)، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين،(٣٢٧/٢)، وتفسير السمعاني،(٣٣/٣)، ومعالم التنزيل، البغوي،(٤٩٣/٢)، وأنوار التنزيل، البيضاوي، (١٦٥/٣)، والسراج المنير، الخطيب الشربيني، (١١٠/٢)، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧ه، (٥٣٤/١)، وأوضح التفاسير، تأليف: محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، المطبعة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، (٢٨٦/)، وتفسير الشعراوي، الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٧م، (٦٩٦٦/١١).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

هو فيه خلاصه، ولكنه زلّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسَه، وأوجع لها عقوبته"[1]، وقال الزجاج:" أنسى يُوسُفَ الشيطانُ أن يَذْكُرَ اللَّهَ"[2].

ولعله بعد عرض القولين، يتضح لنا أن أرجحهما هو القول الأول القائل بأن الضمير في قوله: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ يعود على الناجي (الساقي)؛ وذلك لدلالة السياق عليه، وأيضاً فقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه السلام في أول السورة بأنه من عباده المخلصين، حيث يقول: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3]، فكيف يخبر عنه هنا بأن الشيطان تمكن منه وأنساه ذكر ربه ؟ ! هذا تناقض يتنزه عنه القرآن، وقوله للساقي: اذكرني عند الملك ليس استغاثة بمخلوق، لكنه سعي مشروع لبيان حاله عند الملك، حتى يتخلص من الظلم الواقع عليه، وكيف ينسى الله أو يستغيث بسواه، وهو الذي يدعو في السجن إلى توحيده وعبادته ؟ ![4]، ومما يؤكد ذلك ما قاله الشيخ رشيد رضا:" أي أنسى الساقي تذكر ربه، وهو أن يذكر يوسف عنده على حد: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ ﴾[5]، ﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ منسيا مظلوما، والفاء على هذا للسببية وهو المتبادر من السياق، والجاري على نظام الأسباب، ويؤيده قوله تعالى الآتي قريبا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[6] أي تذكر، إلا أن هذا الاستعمال يحتاج إلى حذف وتقدير، ووجهوه بأنه أضاف المصدر إليه لملابسته له، أو أنه على تقدير: ذكر إخبار ربه، فحذف المضاف، وهو كثير

---

(1) جامع البيان، الطبري، (١١١/١٦).
(2) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (١١٢/٣).
(3) سورة يوسف ، الآية (٢٤).
(4) ينظر: بدع التفاسير، الغماري، (/٧٢).
(5) سورة الكهف ، الآية (٦٣).
(6) سورة يوسف، الآية (٤٥).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

كما أن الإضافة لأدنى ملابسة كثير في كلامهم"[1]، وقال الزحيلي:" فأنسى الشيطان ذلك الناجي تذكير الملك بقصة يوسف، وكان النسيان من جملة مكايد الشيطان، لئلا يخرج نبي الله يوسف من السجن، فيدعو إلى توحيد الله وعبادته، ومقاومة الشرك، ومطاردة وساوس الشيطان"[2].

قال الشيخ أبو زهرة:" وهنا ملاحظتان تتعلقان بالمنهج البياني القرآني، **الأولى:** قول يوسف: ﴿ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ ، فعبر بالظن ولم يعبر بالعلم، تأدبا مع الله في العلم بالغيب، فإنه وإن كان يقينا عند يوسف، ولكن طريقه لا ينتج إلا ظنا، **الثانية:** في كلمة ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ ، المعنى ذكره عند ربه، والإضافة لأدنى ملابسة، وقد مكث بعد ذلك بضع سنين، كان فيها داعية للتوحيد، وقد أنِسَ به الذين كانوا يدخلون السجن، فدعاهم إلى التوحيد، وكانوا يدخلون متهمين من الملك أو غيره، ويخرجون مؤمنين مدركين، وكان بعضهم لأنسه بيوسف الصديق يرغب في أن يعود سجينا، وكان يدعو – كما رأينا في دعوته – صاحبي السجن أولا، وفي هذا إشارة إلى استمرار دعوته إلى التوحيد، والسجناء في مصر كانوا في أغلب الأحوال أبرياء وضعفاء، وأول من يستجيب للنبيين الضعفاء كما رأينا من بعد في أتباع محمد ﷺ ، وكما رأينا من قبل في أتباع نوح عليه السلام، كما قال عن قوم نوح: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾[3][4].

ولعله مما سبق يتضح لنا أن علة شذوذ هذا الرأي هو الاعتماد في تفسير الآية على حديث منكر لا يصح، وهو الذي انخدع به بعض المفسرين.

***

(1) تفسير المنار، محمد رضا، (٢٨٥/١٢).
(2) التفسير المنير، د/وهبة الزحيلي، (٢٧١/١٢).
(3) سورة هود ، الآية (٢٧).
(4) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٣٨٢٦/٧).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة البحث

وبعد هذه الدراسة انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج، لعلّ أهمها:

- بلغت النماذج موضوع الدراسة ستة عشر نموذجا، استقل المبحث الأول منها بتسعة، والثاني بخمسة، والثالث باثنين.
- العز بن عبد السلام مع جلالة قدره، وسعة علمه، إلا أنه في هذا الجانب كان حاطب ليل، ينقل ما وجده في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، وهذا النقل بدون تمحيص بين الغث والسمين .
- الآراء التي يذكرها الشيخ في مختصره، لا يذكرها بصيغة الجزم والتضعيف، حتى يفهم منها أن ما ذكر على سبيل الجزم صحيح، وما ذكر بصيغة التضعيف مردود، وإنما يذكرها على سبيل التنوع والتخيير مستخدما (أو) ، فيذكر الآية، ثم يذكر الرأي الأول، ثم يقول: أو ... ، أو ...، فيختار القارئ من الآراء ما شاء بغض النظر عن الصحة وعدمها، وهذا يترتب عليه الخطأ في فهم كلام الله تعالى.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى استخدام المجاز موضع الحقيقة بدون قرينة مما أخل بالمعنى، ومن ذلك عندما عبَّر عن معنى البحرين بالخضر وإلياس، أو بموسى والخضر، بحجة أنهما بحران في العلم، وحينما فسَّر معنى اليتم في حق النبي محمد ﷺ بأنه من قول العرب: درة يتيمة.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى استخدام القليل النادر من لغة العرب دون ما ظهر وفصح، مما تسبب في غياب التفسير الصحيح للآيات، وذلك في موضعين: الأول: في معنى (الهجر) حيث فسر بأنه: يربطها بالهِجار، وهو حبل يربط به البعير، وذلك من باب الإكراه على الجماع. والثاني: حينما فسر إكبار النساء ليوسف عليه السلام بأنه بمعنى الحيض.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى استخدام التقديم والتأخير في كلام الله تعالى دون سبب مما أخلّ بالمعنى، وذلك في موضعين: الأول: حينما ردت المشيئة الواردة على لسان يوسف عليه السلام لأهله عند دخول مصر: ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ إلى ما جاء على لسان يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾، والثاني: حينما

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ذكر أن الموصوف بالنذير في قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ محمدا ﷺ حين قال له أول السورة : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ .

- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى عدم مراعاة أصل الكلمة من ناحية اللغة، مما أدى إلى البعد عن المعنى المراد، ومن ذلك ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ يعني: مؤتلفو القلوب، على أن الألوف جمع (آلف) على وزن (فاعل) كشاهد وشُهود وقاعد وقُعود، أي لم تخرجهم فُرْقَةُ قومهم، ولا فتنة بينهم، إنما كانوا مؤتلفين.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى الغفلة عن السياق العام للآيات، وذكر ما هو بعيد عن المعنى المراد، ومن ذلك ما قيل عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ أي: بجعلها كذَكَرٍ من الرجال، والآية تتحدث عن شهادة المرأة مع غيرها في النواحي المالية.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى استخدام الخاص موضع العام وذلك في موضع واحد أخل فيه بالمعنى نظرا لبطلانه، ومن ذلك ما قيل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ أن الآية خاصة بالأنبياء محض للوط البنات، ولإبراهيم الذكور، وزوجهم لإسماعيل وإسحاق، وجعل يحيى وعيسى عقيمين، وكيف ذلك ويحيى وعيسى لم يتزوجا أصلا، والآية عامة لكل الناس، يتحدث الله تعالى فيها عن تقسيم هبات الأولاد.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى ذكر الإسرائيليات التي لا تخفى على أحد من أهل العلم، فمثلا: تفسير السكينة بأنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، ولا أدري كيف يكون لها وجه كوجه الإنسان؟ ، وتفسير الصخرة بأنها: صخرة خضراء تحت الأرض السابعة

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

على ظهر الحوت، خضرة السماء منها، فمن أين علم أصحاب هذه الآراء بهذا الأمر ؟ ، وكذلك تفسير الحجاب بأنه: جبل أخضر محيط بالدنيا. فمثل هذه الخرافات كيف تخفى على المفسرين.

- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى البحث عن المبهمات وما سكت عنه القرآن، وقد حاول بعض المفسرين أن يعين المقصود منها، مما نتج عن ذلك مجانبته للصواب في بعض المواضع، ومنها: ما ذكر في معنى الخوف الذي آمن الله منه قريشا بقوله: آمنهم أن تكون الخلافة إلا فيهم.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى الغفلة عن سبب نزول بعض الآيات التي قد لا يتضح معناها إلا به، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ أنه كناية عن إتيان النساء في أدبارهن؛ لأن المرأة يُأوى إليها كما يُأوى إلى البيت.
- ترجع علة الشذوذ في بعض الآراء إلى اعتماد أحاديث ضعيفة في معنى الآيات مما أخل بالمعنى، ومن ذلك حينما ذكر بعض المفسرين سبب لبث يوسف عليه السلام في السجن، بأن الشيطان أنساه ذكر ربه، مستشهدين على ذلك بحديث منكر لا يصح، وهو قول النبي ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ يُوسُفَ لَوْلَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ».

***

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الإبانة الكبرى، تأليف: عبيد الله بن محمد بن حمدان المعروف بابن بطة العكبري، تحقيق د/ عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة ١٤٠٨هـ.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.

٥- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تأليف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ.

٦- الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها، د/عبد الرحمن صالح الدهش، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا ٢٠٠٤م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ.

٨- أوضح التفاسير، تأليف: محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، المطبعة المصرية، ط٦، القاهرة ١٩٦٤م.

٩- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق د/ محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون.

١٠- البحر المحيط ، تأليف: محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

١١- بدع التفاسير لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، القاهرة ١٩٩٤م.

١٢- تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩م.

١٣- تفسير ابن جريج، جمع: علي حسن عبد الغني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٢م.

١٤- تفسير ابن عرفة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، تحقيق د/ حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس ١٩٨٦م.

١٥- تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د/محمد عبد العزيز بسيوني، نشر كلية الآداب، جامعة طنطا ١٩٩٩م.

١٦- تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٧م.

١٧- تفسير العز بن عبد السلام ، تحقيق د/عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٦م.

١٨- وتفسير القرآن الحكيم، تأليف: محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م.

١٩- تفسير القرآن لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: سعد محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة- السعودية ٢٠٠٢م.

٢٠- تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، دار الوطن، الرياض ١٩٩٧م.

٢١- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، بيروت ١٩٩٩م.

٢٢- تفسير القرآن الكريم، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار الهلال، بيروت ١٤١٠هـ.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٢٣- التفسير القرآني للقرآن، تأليف: عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون.

٢٤- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق د/عبد الله شحاته، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٣هـ.

٢٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، تأليف د/ وهبه مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ١٤١٨م.

٢٦- التفسير الوسيط، تأليف د/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ١٩٩٨م.

٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ٢٠٠٠م.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٤م.

٣٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: عادل عبد الموجود وغيره، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ.

٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د/أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون.

٣٢- الدخيل في التفسير للأستاذ الدكتور/ محمد يحيى عبد المنعم، بدون طبعة وتاريخ.

٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: محمود عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

٣٤- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٢٢هـ.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٣٥- زهرة التفاسير، تأليف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر، بيروت، بدون.

٣٦- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير، تأليف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٨٥هـ.

٣٧- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي وغيره، دار هجر للطباعة والنشر، مصر ١٤١٣هـ.

٣٨- طبقات الشافعيين لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق د/ أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ١٩٩٣م.

٣٩- طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـ.

٤٠- غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة- المملكة العربية السعودية، بدون.

٤١- وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ.

٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

٤٣- فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٤هـ.

٤٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٦م.

٤٥- القاموس المحيط لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٥م.

٤٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرازق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٤٧- الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بيروت ٢٠٠٢م.
٤٨- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م.
٤٩- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.
٥٠- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ.
٥١- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني، تحقيق: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨١هـ.
٥٢- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.
٥٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م.
٥٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان الشعار، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٥م.
٥٥- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تأليف: محمد بن عمر الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.
٥٦- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عثمان جمعة، وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون.
٥٧- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٥٨- مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

٥٩- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت ١٤١٢هـ.

٦٠- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٦١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner